الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الصفحة

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج . ع . م .

الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

العدد ١١٠٤ الخميس ٩ من ذى القعدة ١٣٨٤ هـ ـ ١١ من مارس ١٩٦٥م السنة الثانية والعشرون

حقوق الإنسان في الشعر العربي

بقلم : عمر الدسوقي

أهل التاريخ على الأمة العربية فألفاها مرفوعة الهامة، موفورة الكرامة، تعتصم فى صحرائها الواسعة فى حصن منيع عز على الغزاة من الأمم المجاورة ، فلم تطاطىء الهام يوما لدخيل يسومها الخسف ، وينال من كرامتها ، ويحد من حريتها . فعاشت ما عاشت فى جاهليتها تتنفس الحرية مع الهواء والفت الحيـاة فى ذلك البيت الرحب المترامى الأطراف ، الذى يرتد الطرف عن آفاقه حسيرا كليلا ، لا يقف أمامه حائل ، تتحرك فيه بابلها ونعمها فى اباء وعزة .

ومن ثم كانت الحرية ، وهى أول حق طبيعى للانسان ، اغلى لديهم من اى شىء فى الحياة ، بل كانت عدل الحياة ، آمن بهذا الفرد فى قبيلته ، والقبيلة مجتمعة بين غيرها من القبائل ، فلم يفرط اى عربى مهما رقت حاله ، وآده الفقر وأعباء الحياة فى كرامته او حريته ، ولو ضحى بحياته فى سبيل الحفاظ على هذه الحرية الغالية ، فقد آمنوا بان الموت شىء مقدر على بنى الانسان ، وان الحياة مع الذل والضيم اشق على النفس من الموت ، وفى ذلك يقول المتلمس :

ألم تر ان المرء رهن منيـة
صريع لعافى الطير أو سوف يرمس
فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة
وموتن بهـا حرا وجلدك أملس
وما النـاس الا ما رأوا وتحدثوا
وما العجز الا ان يموتوا فيجلسوا

وما اروع ما قال عنتـرة العبسى حيث آثر ان يشرب كأس الحنظل مع العزة والكرامة ولا يشرب ماء الحياة مع المذلة والمهانة ورأى أن الذل جهنم ، بل انه ليرحب بجهنم اذا كان فيهـا عزه ويراها اكرم منزل :

لا تسقنى ماء الحياة بذلة
بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل
مـاء الحيـاة بذلة كجهنـم
وجهنـم بالعـز اكـرم منـزل

كان العربى البدوى فى هذه المهامه الشاسعة يعرف لنفسه قدرها ، ويدرك أن الرجال فى ميزان الحياة ليسوا باموالهم أو جاههم وانما بحفاظهم على كرامتهم ، والحفاظ على الكرامة يتطلب جهدا نفسيا فى تجنب الصغائر والتدنى لما يخدش الرجولة ، أو يعرض المرء للمهانة ، وعدم التعدى على حقوق غيره من الناس . وبهذا فهم الحرية بمعناها الصحيح ، وكان شعاره السلوكى فى الحياة :

فنفسـك اكرمها فانـك ان تهـن
عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

ومن الحفاظ على كرامة الرجل الا يتعدى على حرية جاره ويمد عينيه الى حرماته ، ويقيد حريته فى حركاته :

وما ضر جارا يا بنة القوم فاعلمى
يجاورنى الا يكون له ستر
بعينى عن جارات قومى غفلة
وفى السمع منى عن حديثهم وقر

ويقول عنترة :

واغض طرفى ان بدت لى جارتى
حتى يوارى جارتى مأواها

كانت القبيلة هى الوحدة الاجتماعية لعرب البادية فى جاهليتهم ، وهى وحدة متماسكة لها عرفها وتقاليدها ورئيسها ، ولم تكن الرياسة فيها متوارثة ، فالوراثة نظام لم يعرفه العرب لأنها تأتى بالأحمق والرشيد والقوى والصالح ، بل الرئيس هو من برهن بعمله على أنه فى خدمة قومه ، ودل على انه اشجعهم جنانا وافصحهم لسانا وأوسعهم صدرا وأسخاهم يدا ، يحمل الكل ويكرم الضيف ويفك العانى ويحمى الجار ، ويذود عنهم بكل ما أوتى من مال وقوة ، فاذا ركب يوما راسه او ادارها الغرور ، والزهو ، واستبد بهم أو جار عليهم أو آثر

نفسه بشيء دونهم ، ابوا ان يمتهنهم ، ويتمادى فى طيشته وظلمه :

فلا يقيم على ضيم يراد به
الا الأذلان عير الحى والوتد

ورياسته ليست ضربة لازب ، وانما كانت لمزايا اتسم بها ، فان هى زالت عنه لم يعد مراسا عليهم ، بل اذا بغى بغيه وسامهم الخسف لم يجدوا مندوحة عن قتله :

اذا ما الملك سام الناس خسفا
ابينا ان نقر الذل فينا

ومن ثم كانت مصانعة الرؤساء للأفراد لا تقل عن مصانعة الأفراد للرؤساء ، وهذا يرجع الى تاصل الحرية فى نفس العربى لا يرضى بها بدلا ولا يروم عنها حولا ، ولو زالت عنه النعمة ، ونكاه الزمن نكآت دامية ، فعزة نفسه ، واعتداده بحريته تابى عليه أن يذل أو يضعف أو يقبل المهانة :

فان تكن الأيام فينا تبدلت
ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة
ولاذللتنا للتى ليس تجمل

وهذا هو السر فى أن هذا الجنس العربى ، ربيب الصحراء ثبت على أحداث الزمان وكوارثه ، فقد توالت عليه فى خلال العصور كسف المصائب حتى اذا ظن الطغاة الذين رزىء بهم انهم تمكنوا منه واهدروا كرامته واستذلوه وحطموا كل قوى المقاومة لديه ، انتفض انتفاضة الأبى الكريم ، وغضب غضبة الحر الشريف ، والقى نيرهم عن كاهله ، وطوح بهم فى مهاوى الدمار والتهلكة واستعاد حريته السليبة

لقد كان التغنى بالحرية انشودة العربى فى كل زمان وصقع ، ورث حبها عن آبائه وصارت جزءا لا ينفصل عن كيانه ، ولا نجد فارقا كبيرا بين ما سمعناه من شعراء الجاهلية وبين شعراء العصر الحديث ، فهذا هو البارودى يهتف فى انفة وكبرياء متغنيا بالحرية غير حافل بالموت فى سبيلها :

فعلام يخشى المرء فرقة روحه
او ليس عاقبة الحياة فراق
لا خير فى عيش الجبان يحوطه
من جانبيه الذل والاملاق

وهذا هو اسماعيل صبرى يقول :

لكسرة من رغيف خبز
تؤدم بالملح والكرامه
اشهى الى الحر من طعام
يختم بالشهد والملامة

واذا كانت الشعوب العربية قد رزئت بالاستعمار فى شتى الوانه وضروبه ، فان الشعراء كانوا أشد الناس احساسا بمهانته ، ولم يعودوا يطلبون الحرية الفردية لأنفسهم فحسب ، ولكنهم يطلبونها كاملة لشعوبهم :

واذا قال البارودى :

اذا المرء لم يدفع يد الجور ان سطت
عليه فلا يأسف اذا ضاع مجده
ومن ذل خوف الموت كانت حياته
اضر عليه من حمام يؤده

فانه قال كذلك واصفا حال شعبه وما صار اليه على يد الأسرة الباغية التى عاثت فى مقدراته فسادا وامتصت ماء الحياة من ذلك الشعب الكريم ، وضربت عليه الضيم والمهانة بعد ان كان عزيز الجانب ، قوى الشكيمة ، وهذه حال ينفر منها الكريم الحر ، ومن ثم وجبت الثورة وتقويض هذا الحكم الفاسد الذى يليه من لاخلاق لهم :

من كل وغد يكاد الدست يدفعه
بغضا ويلفظه الديوان من ملل
ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت
قواعد الملك حتى ظل فى خلل
واصبحت دولة الفسطاط خاضعة
بعد الاباء وكانت زهرة الدول
واصبح الناس فى عمياء مظلمة
لم يحظ فيها امرؤ الا على زلل
اصوحت شجرات المجد أم نضبت
غدر الحمية حتى ليس من رجل
فما لكم لا تعاف الضيم انفسكم
ولا تزول غواشيكم عن الكسل

انه يحرض على الثورة جهارا بعد ان استحكم الهول ، ولم يعد يجدى الصبر والتصبر :

فيا قوم هبوا انما العمر فرصة
وفى الدهر طرق جمة ومنافع
اصبرا على مس الهوان وانتم
عديد الحصى انى الى الله راجع
وكيف ترون الذل دار اقامة
وذلك فضل الله فى الأرض واسع

وكانت الثورة العرابية ، ثورة شعب قام يناهض الذل والفساد ، ويريد الحياة عزيزة كريمة ، ولكن هذا الشعب قد طعن من الخلف وتآمرت عليه الأسرة الحاكمة مع المستعمر ، واصطنعت لفيفا من الخونة الذين باعوا ضمائرهم للشيطان ، وكان ما كان ، ولكن الشعب لم يحد عن طلب الحرية ،

وتحطيم القيود التى كبل بها ، وكان الشعراء ترجمان مشاعره ، فهذا شوقى يقول :

يا قوم هذا زمن قد رمى
بالقيد واستكبر عن سحبه
لو ان قيدا جاءه من عل
خشيت ان يأبى على ربه

لقد ثارت الشعوب اليقظة على حكامها الذين يمتصون دماءها ، وعلى المحتلين الغاصبين الذين يبتزون خيراتها ويعوقون تقدمها ، ويسخرونها بمذلة ومهانة فى قضاء ماربهم الاستعمارية الدنيئة التى تهدر كرامة الانسان ، وتضعه فى مرتبة الحيوان الأعجم ، فالاستعمار رق جماعى ، وقتل الآلاف من الشعوب الثائرة لا يجرح ضمائر المستعمرين الميتة ، بينما لو قتل منهم شخص واحد لكان قتله جريمة نكراء وما احسن ماقاله أديب اسحق معبرا عن عقلية المستعمر :

قتل امرىء فى غابة
جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن
مسالة فيها نظر

وهاكم على محمود طه يتعجب من منطق المستعمر الذى يابى على شعبنا ان ينال حريته فى حين أن شعوبا كثيرة قد تحررت ، ولم يعد الزمن يستسيغ هذا المنطق الذى يسوغ قانون الغابة :

تحررت الشعوب فكل شعب
طليق والمجال اليوم رحب
وهبت فى نواحى الأرض دنيا
لحق يجتبى ومنى تلب
فلا تقفوا بحرياتِ شعب
وآمال له بالمجد تصبو

واذا اضطر هذا الشعب للحرب التى فرضت عليه دفاعا عن حريته السليبة ، وثأرا لكرامته المستضامة فبحسبه أن يخوض حربا شريفة ، وأن يعف فى حربه فلا يتجنى ولا يسلب غيره من الناس حقوقهم الطبيعية :

شرف المحارب أن يعف سلاحه
ان جارت الهيجاء وهو حريبها
ليجير شعبا أو يحرر أمة
لا تستباح ولا يضام نجيبها

ان شعرنا الحديث يغص بالحديث عن الحرية تلك التى حرمتها شعوبنا ردحا من الزمن على يد المستعمرين الغاصبين ، ولا يسعنى فى هذه العجالة ان انوه بكل ماقيل فى هذا الموضوع ولكنى أختم الحديث عن الحرية أول حق من حقوق الانسان الطبيعية ، التى بدونها يفقد انسانيته بابيات للمرحوم هاشم الرفاعى حيث يقول على لسان شهيد :

أنا لست أدرى هل ستذكر قصتى
أم سوف يعروها دجى النسيان
كل الذى أدريه أن تجرعى
كاس المذلة ليس فى امكانى
لو لم أكن فى ثورتى متطلبا
غير الضياء لأمتى لكفانى
أهوى الحياة كريمة لا قيد لا
ارهاب لا استخفاف بالانسان
فاذا سقطت سقطت احمل عزتى
يغلى دم الاحرار فى شريانى

أجل انه دم الاحرار تحدر فى أصلابنا منذ ذلك العصر السحيق الذى عاشت فيه أمتنا العربية طليقة فى رحاب صحرائها ، وعاش معنا طوال هذه الآماد يتأبى على القيود والسدود ، وحفظ على هذه الامة حيويتها وقوتها فخرجت من كل المحن أصلب عودا وأقوى بأسا ، وأنقى معدنا ٠

أما الحق الثانى والثالث من حقوق الانسان فهما المساواة والاخاء . ولقد كان العرب فى صحرائهم لا يشعرون بهذه الفوارق الطبقية التى يستعلى بها انسان على أخيه فى مدنيتنا الحاضرة ، وانى لهم هذا الشعور وهم ليسوا أهل دور وقصور وضياع عامرة ورءوس اموال ضخمة ، وانما بيوتهم اخبية تقتحمها العين ويطوونها عند الرحلة ، وأموالهم شاء ونعم عرضة لان تجتاحها سنة مجدبة فتجتثها من أصولها ، فالتفاوت الشديد فى الثروة واقتناء متع الحياة هو الذى يولد فى النفس الشعور بعدم المساواة بين الناس واستعلاء بعضهم على بعضهم ثم انهم كانوا يعيشون فى نظام اجتماعى وحدته القبيلة والقبيلة تنتمى لأب واحد ، وبين أفرادها لحمة الدم وصلة القربى فمن عنده مال ومن هو حليف المتربة والفاقة تربطهما صلات ووشائج اقوى من أن يؤثر فيها هذا التفاوت ان وجد ، بل ان الغنى ذا الشاء والنعم يضع ثروته كلها فى خدمة القبيلة ، والا تنكرت له وتبرأت منه ، وهى وطنه وقوميته وكل ما له فى الحياة ، ومن ثم كان حتما عليه أن يواسى فقيرهم ، ويؤاخى ضعيفهم ، ويبذل ماله فى رفعة شئونهم عن سماحة وطواعية ويكون لهم كالأب:

نميل على جوانبه كأنا
نميل اذا نميل على ابينا

تقلبه لتخبر جانبيه
فتخبر منهما كرما ولينا

هو من هؤلاء الذين قال فيهم الحطيئة
أولئك آباء الغريب وغاثة الصـ
ـريخ ومأوى المرملين الدرادق

وليس معنى المساواة أن ينعدم الفقر بين الناس ، فالناس ليسوا سواء في مواهبهم الطبيعية ، ففيهم القوى والضعيف ، والذكى والغبى ،والصحيح والمريض ، والعاقل والاحمق ، والمتأنى والمتهور الى غير ذلك من الصفات الخلقية والمواهب الربانية ومن الطبيعى أن يتفوق بعضهم على بعض فى ميدان العمل والرزق ولكن الفقر لا يحرم الانسان حقه فى الحياة ، والغنى لايجعل صاحبه يستأثر بكل شىء ، ومن حوله أناس لايجدون مايقيم أودهم ويموتون مسغبة وجوعا، بل ان الحياة شركة بين الاثنين ، والمال مال الله ، وهو عارية مستردة . هكذا فهم العرب فى جاهليتهم وظيفة المال ، وحق الفقراء عليهم :

اذا كان بعض المال ربا لاهله
فانى بحمد الله مالى معبد
يفك به العانى ويؤكل طيبا
ويعطى اذا من البخيل المصرد

لقد لقنتهم الصحراء درس المساواة الحقيقى فغنى اليوم قد يصبح فقيرا غدا ، وماله وهو الشاء والنعم، قد تجتاحه جائحة فيعود صفر اليدين حلس فاقة ومتربة ، ومن هنا يشعر شعورا حادا بقيمة المساواة والشركة فى الحياة بين الفقراء والأغنياء ، وقد عبر الشعر العربى الجاهلى أفصح تعبير عن هذا المعنى الكريم ، فتقول أم حاتم الطائى :

لعمرك قدما عضنى الجوع عضة
فآليت الا امنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائمى اليوم أعفنى
وان أنت لم تفعل فعض الاصابعا

ويقول عمرو بن الاطنابة الخزرجى مفتخرا بقومه وبنهجهم فى الحياة :

انى من القوم الذين اذا انتدوا
بدءوا بحق الله ثم النائل
والخالطين فقيرهم بغنيهم
والباذلين عطاءهم للسائل

وما أكثر ما قيل فى الاشتراكية الجاهلية .

يقول حاتم الطائى لزوجه :

اذا ما صنعت الزاد فالتمسى له
اكيلا فانى لست آكله وحدى
أخا طارقا أو جار بيت فاننى
أخاف مذمات الأحاديث من بعدى

أجل انه يخاف مذمات الأحاديث لأنه لو لم يشاركه فى طعامه جاره أو ضيفه يكون قد اقترف اثما كبيرا ، وانتهك حرمة قانون الصحراء الذى يتعرض فيها كل امرىء لأن ينفد زاده أو يفقد ماله، ولابد من التعاون وفتح الابواب لكل طارق، والشركة فى المال .

وهذا هو الهذيل بن مشجعة يتكلم عن موقفه الكريم فى السنوات المجدبة حيث تشتد وطأة الجوع والفقر ويلتمس الفقراء الزاد فلا يجدونه ، وتهزل النعم ويصيبها الجرب لشدة القحط :

ومتى أجئه فى الشدائد مرملا
ألق الذى فى مزودى بوعائه
واذا تتبعت الجلائف ما لنا
خلطت صحيحتنا الى جربائه

ويقول زرعة بن عمرو حيث ينتشل الأرملة التى فقدت عائلها من غائلة الفقر وينزلها منزلة ولده فى كل ما يصيبهم من خير :

وارملة تمشى على يديها
من الضراء أو قصص الهزال
خلطت بغثها سمنى فأضحت
شريكة من يعد من العيال

أما عروة بن الورد العبسى فان مشاركة الفقراء فى ماله وقيامه بحق الجار والأهل والفقراء قد أورثته الهزال والضعف ، حتى عيره بهزاله الشحيح الذى تنكر لانسانيته وآثر أن يأكل وحده دون أن يشرك فى طعامه سواه ، فى حين أن عروة قد كان يدعو لطعامه الصعاليك حتى سمى باسمهم ، وقسم ما اكتنزه جسمه من لحم وشحم على اخوانه هؤلاء فقال لصاحبه هذا الذى سخر منه :

أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى
بوجهى شحوب الحق والحق جاهد
وانى امرؤ عافى انائى شركة
وأنت امرؤ عافى انائك واحد
اقسم جسمى فى جسوم كثيرة
وأحسو قراح الماء والماء بارد

كانت هذه تقاليد عرب الجاهلية، ولما جاء الاسلام، لم يجعل حق الفقير على الغنى مكرمة وعطاء ، ولكنه جعله فرضا معلوما وحقا مقسوما ، وكان رسول الله عليه السلام أسوة حسنة فى تطبيق معنى المساواة الحقيقية التى يجب أن تسود بين الناس ، وكيف لا وقد أنزل الله تعالى عليه قوله الكريم : « يا أيها الناس انا

خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم »

فهنا مساواة في طريقة الخلقة والوجود الى الحياة، يشترك فيها الغني والفقير والأمير والحقير ، وما أبلغها من عبارة ، واكرم الناس عند الله ليس أكثرهم مالا او اشدهم سطوة أو أعظمهم جاها ، ولكنه أتقاهم ومن جعل بينه وبين الحرمات وايذاء الناس والتعدى على حقوقهم وقاية ، والدين الحق هو المعاملة

ولعل أبا العلاء المعرى كان يشير الى مستهل هذه الآية الكريمة بقوله :

لو عرف الانسان مقداره
لم يفخر المولى على عبده

وقد اجمل شوقي تعاليم الدين الاسلامي في المساواة والاخاء بقوله مادحا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام :

الله فوق الخلق فيها وحده
والناس تحت لوائه أكفاء
والدين يسر والخلافة بيعة
والأمر شورى والحقوق قضاء
الاشتراكيون أنت امامهم
لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت متئدا وداووا طفرة
وأخف من بعض الدواء الداء
والبر عندك ذمة وفريضة
لا منة ممنونة وحباء
جاءت فوحدت الزكاة سبيله
حتى التقى الكرماء والبخلاء
انصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل في حق الحياة سواء
فلو ان انسانا تخير ملة
ما اختار الا دينك الفقراء

وضرب شوقي مثلا على مساواة الناس في حق الحياة باشتراكهم في استنشاق الهواء وتمتعهم جميعا بالشمس تطلع على القصور الشاهقة كما تطلع على الأكواخ القميئة ، والصحراء المقفرة ، وبمساواتهم في الموت يتوسدون جميعا لحدا ضيقا :

يريد الخالق الرزق اشتراكا
وان يك خص أقواما وحابى
الم تر للهواء جرى فأفضى
الى الأكواخ واخترق القبابا
وأن الشمس في الآفاق تغشى
حمى كسرى كما تغشى اليبابا
وأن الماء تروى الأسد منه
ويشفي من تلعلعها الكلابا
وسوى الله بينكم المنايا
ووسدكم مع الرسل الترابا

لقد أكد الاسلام المساواة والاخاء بين الناس في تعاليمه جمعاء وعلى الأخص في الوقوف بين يديه سبحانه وتعالى في الصلاة حيث ينتظمون صفوفا يتلاصق فيها الغني والفقير والكبير والصغير والحاكم والمحكوم ، وفي الحج حيث يتعرى الناس عن ملابس الزهو والخيلاء ، فيتعرون عما يوحي بالتفاوت بينهم في الحياة ، ويقفون أمامه سبحانه جميعا على قدم المساواة ، وفي ذلك يقول شوقي :

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم
لبيت طهور الساح والعرصات
أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة
اليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت
لديك ولا الأقدار مختلفات

واذا كنا قد شغفنا بالحرية حبا كما أسلفنا وتغنينا بها خلال العصور ، فقد أولعنا بالمساواة التي مارسها أجدادنا في الجاهلية عملا ، وثبتها الاسلام عقيدة وشرعا ، وتغنى بها الشعراء كذلك في كل عصر فقال أبو العلاء المعرى :

ولو اني حبيت الخلد فردا
لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضى
سحائب ليس تنتظم البلادا

وقال في عصرنا الحديث الشاعر الشاب المرحوم هاشم الرفاعي ان كان هؤلاء الذين يبغون السلام في الأرض جادون حقا في دعواهم هذه فليأخذوا عن شرعنا وديننا ما أتى به من تعاليم :

او قام منهم بالاخاء مطالب
فحديثه للناس محض خداع
ليس الاخاء شريعة تملى ولا
عهدا يدبج قصة بيراع
لكنه ـ وكما رسمت خطوطه ـ
شيء يحس صداه في الأضلاع
وعلاقة يسمو بها الانسان لا
كعلاقة الأسياد بالأتباع

انه لحديث طويل حديث حقوق الانسان في الشعر العربي ، ومعذرة إذا أوجزته هذا الايجاز المخل ، وتخطيت عشرات الشعراء ممن أشادوا بهذه الحقوق في مختلف عصور العربية وأقطارها . **عمر الدسوقي**

المجتمع الاشتراكي والتفرقة العنصرية

للدكتور : عبد العزيز كامل

(٢)

فى المقال السابق ذكرت نصا عن ابن حزم من كتاب المحلى (١٠ : ٢٤) فى موضوع الكفاءة ، سقط منه حرف لايستقيم به المعنى ٠ وصحته « وأهل الاسلام كلهم أخوة ، لايحرم على ابن من زنجية لغية نكاح ابنة الخليفة الهاشمى » واللغية من لا يعتد بها ٠ وكذلك حدث تحريف فى اقتباس من ابن خلدون صحته « ونحن اذا بحثنا عن الحكمة فى اشتراط النسب القرشى ٠٠ لم نجدها الا فى اعتبار العصبية التى تكون بها الحماية والمطالبة ٠٠٠ » ويلى هذا مناقشة لموضوع الامامة وشروطها وآراء الفقهاء فيها ٠

وقبل أن أنتقل الى ماقاله العلم فى أمر التفرقة العنصرية ، ينبغى أن نذكر حقيقة كبيرة هى أن كلمة الاسلام واحدة لم تتبدل فى أمر العنصرية ، بينما تغيرت كلمة العلم فيها ٠ ومن هنا يأتى الفارق الكبير بين موقف الدين وموقف العلم الذى لايعتمد فيه الانسان الا على حواسه ٠ وما أكثر ما يأتيه الهوى كما ستبين بعد قليل ٠

من أجل ذلك حدد الاسلام مصادر المعرفة فلم يقصرها على الحواس وانما ضم فيها الجانبين المادى والروحى ، فقال تعالى « ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (الاسراء : ٣٦) واعتبر هذه الوسائل الثلاث نوافذ يطل بها الفرد على الوجود وعطايا الهية عليه أن يحسن الاستفادة منها ، وأن أى تقصير فى استخدامها جحود بنعمة الله ٠ وفى هذا يقول الله تعالى « الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » (السجدة : ٧ ــ ٩)

وليس هناك تقابل بين القلب والحس ، وانما هناك تكامل تتضح به الرؤية للفرد وتتحول المعرفة النظرية الى أسلوب عملى فى الحياة ٠ فهذا الصراع بين الروح والمادة والالحاح العقلى الدائم على المقابلة بين المحسوس والمعقول واهدار الواقع المشاهد فى سبيل المجهول أو الغيبى أو اهدار الغيب فى سبيل المشاهد ٠٠ كل هذه مشكلات لا أصل لها فى التفكير الاسلامى ، ولا فى تكوين الاسلام الفرد والجماعة ٠ فنحن نؤمن أن الله « عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم » (السجدة : ٦) ٠ وأن الانسان مطالب بالسعى والعمل والانتاج « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (الملك : ١٥) ، وهو مطالب فى نفس الوقت بالايمان بالغيب ، يقرأ هذا فى كثير من آيات القرآن الذى يصف المؤمنين بقوله « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ٠ والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » (البقرة : ٣ ــ ٥)

واستطاع الاسلام بهذا الايمان بالغيب والشهادة، وبالنظرة الممتدة التى تجمع القلب والحواس، وتضم الوحى والعلم التجريبى الصحيح ، استطاع الاسلام بهذا أن يتخطى مشكلات لاتزال بعض المجتمعات المتقدمة تتعثر فيها حتى الآن ٠ وعلى رأس هذه المشكلات التفرقة العنصرية ٠

والأمر فى التفرقة العنصرية لايكفى فيه أن يقول العلم كلمته ، وانما كيف تتحول هذه الكلمة الى عمل وحياة ؟ لقد قال العلم كلمته فى التفرقة العنصرية كما سنرى ، ولكن المشكلة لاتزال حية ساخنة فى الولايات المتحدة الامريكية ٠ ولا زال أفراد من هذا المجتمع المحموم يلقون مصارعهم فى وضح النهار أو ظلمة الليل بأيدى الغدر والخيانة ولا ذنب لهم الا أنهم سود البشرة ٠ ورغم أن العلم قد قال كلمة فان التفرقة العنصرية تمارس بأبشع صورها فى أقصى جنوب افريقية حيث أقلية ظالمة

من البيض استولت على كل مقدرات المجتمع سياسيا واقتصاديا والجأت الافريقيين الى الضيق من الرزق والجدب من الارض والوبيء من السكن . وتلقى هذه الأقلية - رغم هذا كله - تأييدا من بعض الدول الكبرى .

ومن هنا تبدو الحاجة الى كل من كلمتى الدين والعلم . بل يبدو العلم وحده بمعناه المحدود - عاجزا عن أن يحل المشكلة . لابد من قوة تحول هذه النتائج العلمية الى حقائق واقعية . وهنا تبدو مدى الحاجة الى الدين ويبدو سلطانه على النفس وأثره فى تصحيح الأوضاع الفاسدة فى المجتمع .

واشتراكيتنا العربية تقوم على أساس من الدين، لا باعتباره تراثا منعزلا عن واقع الحياة ، وانما باعتباره قوة دافعة للفرد والمجتمع ونورا يضيء طريق الحياة ويحدد مسالك الخير فيها .

وقد تكون أهم المشكلات التى تقابل المجتمع الاشتراكى هى « مشكلة الحافز » الذى يدفع الفرد الى العمل بحيث يصير المجتمع كله منطلقا الى أهدافه يمارس أفراده أداء الواجب كما يمارسون الحصول على الحق . والعقيدة قوة تستطيع أن تفعل الكثير من بعد ، كما فعلت الكثير من قبل وتحول الفكرة الى عمل والآمال الى حقائق .

ولعل أكبر هيئة علمية درست مشكلة التفرقة العنصرية بكثير من التفصيل هى ، هيئة اليونسكو وأصدرت فى هذا الموضوع دراسات أهمها سلسلتان: الأولى عن المشكلة العنصرية فى نظر العلم الحديث ، والثانية عن المشكلة العنصرية والتفكير الحديث . وأصدرت تصريحين أو بيانين هامين أولهما عام ١٩٥٠ والثانى عام ١٩٥١ وقع على كل منهما صفوة من العلماء المختصين فى مشكلات العنصرية على المستوى العالمى . وعادت هيئة اليونسكو فأخذت فى جمع بعض هذه الرسائل واصدارها فى مجموعات ، صدرت الأولى منها بالفرنسية عام ١٩٦٠ باسم « المشكلة العنصرية فى نظر العلم » وتحوى أحد عشر بحثا ، لا يخلو بعضها من تحيز تبدو فيه رائحة الصهيونية ، كبحث كتبه شابيرو عن «شعب أرض الميعاد » وهو البحث الوحيد من المجموعة المخصصة لدراسة اقليم معين هو فلسطين السليبة وذلك من زاوية أساسية هى علاقتها باليهود .

ويكفى هذا النموذج ليرينا كيف تستطيع الأهواء أن تلبس أردية العلم وأن تصب نفسها من جداول واحصاءات تحاول بها تزييف التاريخ والقاء أضواء - غير عادلة - على أخطر مشكلة يقابلها وطننا العربى فى تطوره المعاصر .. بل تقابلها الاشتراكية العربية فى هذه المرحلة الحرجة من زحفها الدائب نحو أهدافها .

والى جانب ذلك هناك ابحاث أصلية فى هذه المجموعة تمتاز بالموضوعية العلمية وتنحو نحوا انسانيا شاملا على أساس علمى وسنشير الى بعضها بعد قليل .

كما عنى بموضوع العنصرية عدد كبير من الباحثين يمثلون اتجاهات متعددة تدافع عن العنصرية أو تهاجمها ، وان كان الدفاع عنها قد أخذ يتضاءل أمام اليقظة الجارفة التى تعم آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية فى الوقت الحاضر . واستطاع أن يدخل ميدان الدراسة باحثون جدد أعادوا الدراسات التى سبق أن قام بها بيض متحيزون وأن يثبتوا بالدليل القاطع كيف عبث هؤلاء بقداسة العلم وزيفوا النتائج التجريبية ليبرهنوا على تفوق السلالات البيضاء على السلالات الملونة بعامة والسوداء بخاصة .

والجانب الأصيل من الاشتراكية العربية أنها تجمع بين الأصول الدينية والمنهج العلمى وتأتيها الكشوف العلمية - متى كانت على أساس سليم - مصدقة ومؤيدة لما تؤمن به من مساواة بين الناس، وتأثيرها بهذا لايقتصر على التطبيق المحلى وانما يقدم للعالم كله نموذجا حيا للنظرة الشاملة المتكاملة التى تستطيع أن تستفيد منها الانسانية مع حل مشكلة العنصرية . وتوضيح هذه النظرة يقتضينا اجراء مقارنات بين مجتمعنا وغيره من المجتمعات، واشتراكيتنا وغيرها من الاشتراكيات ، كما يقتضينا أيضا أن نتعمق البحث فى أعماق التاريخ حتى يبدو التطور الزمانى للمشكلة - وهو البعد الرابع - فى أية دراسة .

وقد عنى جوان كوماس بالتطور التاريخى لمشكلة العنصرية وذلك فى بحث عنوانه « خرافات عنصرية » نشرته هيئة اليونسكو لأول مرة عام ١٩٥١ فى سلسلة «المشكلة العنصرية فى نظر العلم» ثم أعادت نشره فى صدر المجموعة التى تحمل نفس الاسم عام

١٩٦١ . وصدرت لهذا البحث ترجمة عربية فى سلسلة الألف كتاب تحت عنوان « خرفات عن الأجناس » ونقله الى العربية الدكتور محمد رياض .

وقارن كوماس بين النصوص الواردة فى التوراة والانجيل عن العنصرية . وكيف يستند انصار التفرقة الى نصوص فى سفر التكوين (٢٥:٩ ـ ٣٧) وهى نصوص تتعلق بكنعان بن حام بن نوح وعبوديته لأخويه سام ويافث . وآيات تتعلق بتفضيل بيت ابراهيم عليه السلام (١٢ : ١ ـ ٣) . وكيف أن بعض هذه الآيات لايمكن الاستناد اليه فى التفرقة . ثم عرض الآيات الدالة على المساواة فى الانجيل وأعمال الرسل ومن نماذجها رسالة بولس الى أهل رومية (٩ : ٨ ـ ٩) . وعهد النصوص التاريخية القديمة فى هذا حتى وصل الى مطلع العصور الحديثة مع القرن السابع عشر والثامن عشر وما بعد ذلك الى الوقت الحاضر . وكانت عنايته بالفلاسفة الأوربيين وتميز فيهم اتجاهان رئيسيان الأول يذهب الى انتى أميل الى الاعتقاد بأن الزنوج أحط بالطبيعة من العناصر البيضاء .

فمن أيدوا الوحدة الجوهرية للطبيعة الانسانية فولتير وجان جاك روسو فى القرن الثامن عشر . بينما نجد فيلسوف مثل هيوم فى القرن الثانى يقول : انتى أميل الى الاعتقاد بأن الزنوج أحط بالطبيعة من العناصر البيضاء .

ويذهب هذا الاتجاه الى آماد بعيدة من التعصب العنصرى عند **منتسكيو** صاحب روح القوانين ـ . فقد حاول أن يربط بين المناخ والمجتمع ويبرر الاستعمار الاوربى للمناطق المهارية فى عبارات مثل قوله : « ان ساكنى البلاد الباردة يمتازون بكثرة الفضائل وقلة المفاسد وشد الصراحة وقلة الأنانية . واننا كلما ابتعدنا عن الشمال عند الجنوب تكون قد ابتعدنا عن الأخلاق . فشاهدنا أمما تنقصها روح التطلع والاقدام والكرم . ويزداد الكسل والأنانية وتتفشى المفاسد والجرائم . ولذلك كله . نجد أن امم الشمال تتغلب دائما على أمم الجنوب . كما نجد أن الحرية والديموقراطية لا تتأصل الا عند أمم الشمال . أما أمم الجنوب فتتصف بالعبودية والاستسلام بعامة كما أن دولها لا تعرف معنى للحرية والديموقراطية بل تكون مستبدة وظالمة مع كل الأحوال .

بل ان منتسكيو يربط بين المناخ الحار والرق وبين المناخ البارد والشجاعة والحرية . ويحاول أن يبرر تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسى وابادة الهنود الحمر بقوله : « اذا طلب منى أن أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيدا ، فانى أقول ان شعوب اوربا بعد ان أفنت سكان أمريكا الاصليين ، لم تر بدا من ان تستعبد شعوب افريقية لكى تستخدمها فى استغلال كل هذه الأقطار الفسيحة . والشعوب المذكورة ماهى الا جماعات سوداء البشرة من أخمص القدم الى قمة الرأس ، وأنفها أفطس فطسا شنيعا بحيث يكاد أن يكون من المستحيل أن نرثى لها . ولايمكن للمرء أن يتصور أن الله سبحانه وتعالى وهو ذو الحكمة السامية قد وضع روحا ، وعلى الأخص روحا طيبة . فى جسم حالك السودا » .

وهكذا سار نفر من الفلاسفة والعلماء باسم العلم فى مواكب الاستعمار يحاولون ان يضعوا قواعد علمية لعدواتهم . وباسم العلم بل وباسم الدين أحيانا حاولوا افناء الهنود الحمر فى أمريكا باعتبارهم من سلالة الشيطان .

وعلى الرغم من الاثر الادبى فى أوربا لبعض المفكرين فان التفرقة العنصرية تطورت الى نظام مذهبى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ودعم التطور الصناعى والتوسع الاستعمارى هذا الاتجاه ، تحول الرق فى الولايات المتحدة الامريكية الى نظام مقدس فى منطقة القطن وصحب هذا ترحيب بنظرية دارون التى نادت بأن البقاء للاصلح واعتبرها انصار التفرقة العنصرية مؤيدة لمصالحهم ، واتخذوها ، سندا علميا لتبرير مظالمهم . فلا لوم عندهم على الابيض ـ وهو الاعلى ـ أن يستعبد الملون ـ وهو الادنى ـ أو يفنيه .

وهنا ينبغى ان نفرق بين الداروينية الاجتماعية والداروينية البيولوجية وهى التى نادى بها دارون . فالذى حدث عمليا ان الجماعات الملونة تطورت واصبحت ـ كما يرى البيض ـ منافسا خطرا لهم فى ميادين العمل ، فضلا عن مطالبتها بالمميزات الاجتماعية التى تعتبرها الجماعات البيضاء حقا وراثيا لها دون غيرها من الاجناس . فاستغل البيض النظرية وأوجدوا « الداروينية الاجتماعية » وهى قناع علمى تخفى وراءه العناصر البيضاء مطامعها الاقتصادية المادية التى دعتها الى انكار

حقوق الشعوب الملونة فى اى نصيب مما تتمتع به هى من مميزات ، واعتبروا استعباد او افناء المجموعات البشرية غير البيضاء بالرصاص الاوربى لا يخرج عن كونه تنفيذا لسياسة استبدال مجتمعات راقية باخرى غير راقية . وكانت النظرية تبريرا للعدوان ، لان المعتدين فى ظل الدارونية الاجتماعية وباسمها — تخلصوا من كل الاعتبارات الانسانية تجاه الاجانب الذين ينتمون الى ما اسموه بالاجناس المنحطة وكانوا يضعونها فى مصاف الحيوانات أو أعلى منها قليلا .

وافاد الاوربيون من تفوقهم العلمى ووفرة اسلحتهم ، مما جعل المعارك غير متكافئة بينهم وبين الشعوب الملونة فى آسيا وافريقية وامريكا . واشتعلت نيران حروب الابادة لاجناس لم يبق منها الا جماعات محدودة كمتاحف بشرية حية ، ثم تبع هذا حركات التهجير الضخمة من العالم القديم الى العالم الجديد . وعلى اكتاف الافريقيين وبجهودهم امكن استغلال الارض وانشاء المشروعات ومد الخطوط الحديدية وتعبيد الطرق . واذا كان الفكر الاوربى له جانب من بناء هذه الحضارة ، فان هذا الفكر باتجاهاته الاستعلائية وباهداره كرامة الانسان قد حال بين قارات كاملة وبين التطور واتخذ ابناءها وثرواتها مادة لتكوين الحضارة الاوربية وحال بين ثلاثة ارباع العالم وبين التطور الطبيعى الذى اخذت تباشيره تبدو بعد كفاح الحرية الدامى .

فالدارونية الاجتماعية كانت الاساس العلمى الذى اتخذته الحضارة الاوربية عندما نادت بالبقاء للاصلح وبررت جبروتها وعدوانها على الملونين حيث كانوا . وكانت التفرقة العنصرية — ولا تزال — وسيلة لايجاد ضحايا او قرابين حين يتهدد الخطر مركز بعض الافراد أو تماسك بعض الجماعات او الدول الاستعمارية .

وكان من المنطقى ، بعد أن مارس البيض التفرقة العنصرية بينهم وبين الملونين ، أن يبرز سؤال ليفرض نفسه على السلالات البيضاء نفسها : « ما هى السلالة المتفوقة من بين البيض ؟ » « وبعبارة أخرى من هو سيد السادة ؟ » لقد كانت التفرقة العنصرية مشكلة اصطلى بنارها الملونون ولكن لظاها امتد الى البيض عندما حاولوا أن يبحثوا بين سلالاتهم عن أرقاها واسماها .. وادى هذا الى نظريات اكثر تطرفا .. كانت من بين الأسباب التى أشعلت نيران الحرب العالمية الثانية ودفعت فيها الانسانية ثمنا جعلها تبحث عن « علم جديد » يستهدف العدالة والاخاء .. عدالة تمثلها الاشتراكية واخاء تمثله محاولات لنبذ التفرقة العنصرية . وموعدنا حديث مقبل لعرض هذه التيارات العالمية .

« د . عبد العزيز كامل »

« اعتذار »

يتابع الأستاذ محمود محمد شاكر سلسلة مقالاته من العدد القادم .

ويأسف لانقطاعه عن الكتابة فى الأسبوعين الماضيين لمرض منعه عن الاستمرار .

هذا وسيكون مقاله القادم بعنوان « أباطيل وأسمار »

اشتراكيتنا قبل الإسلام

للدكتور: فؤاد حسنين على

إذا استثنينا الكتابات البابلية والاشورية والمعينية والسبائية واللحيانية والثمودية والنبطية والعربية الشمالية فان كتبا علمية حول تاريخ العرب القديم لم تصلنا ، نعم ان من بين هذه الكتابات تلك التى تحدثنا عن ملك من الملوك أو حرب من الحروب أو أسرة من الاسر الحاكمة الا ان مجموعة كاملة أو شبه كاملة تفتح عهدا وتختمه لامة من هذه الامم العربية لم تصلنا بعد وكل ما كتب عن تاريخ العرب شعوبا وبلادا لا يتعدى محاولات جاءتنا نتيجة مغامرات وجهد مضن لجماعة من رجالات الدراسات الشرقية فى العالمين القديم والحديث . وليس مرجع هذا النقص انعدام الكتابة وأدواتها بل يد العبث التى امتدت الى هذه الوثائق فابادتها وتركتنا نتخبط طويلا حتى نوفق الى الاهتداء الى الخطوط الرئيسية للتاريخ العربى قبل الاسلام .

الا ان بعدنا عن هذا التاريخ المكتوب اضطرنا الى التماسه فى الحياة العربية البدوية وهذه الحياة هى التى تربط حقا بين ماضى وحاضر أمتنا العربية فالبادية هى البادية والشعب هو الشعب واللغة هى اللغة والعادات بقيت العادات بالرغم من اختلاف العقائد أو بتعبير أدق تطورها وذلك لان دينا ما لم ينجح فى اقتلاع الشعور الدينى المتوارث فى أمة من الامم . واذا أراد باحث اجتماعى استخلاص صورة لحياة مجتمعنا العربى فى كثير من أطواره فما عليه الا أن يقف عند العشيرة أو القبيلة وعاداتها وتقاليدها فتسجل حواسه بيئتنا العربية الذكية ويرى اشتراكيتنا ممثلة فى قول الشاعر :

الناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

فالاشتراكية العربية هى أن يأخذ القوى بيد الضعيف والصحيح بيد المعتل والغنى بيد الفقير وبذلك فقط تسود هذه الاشتراكية الاجتماعية التى صورها شاعرنا . ان اشتراكيته اشتراكية مجتمع لا طائفة. انها اشتراكية الخدمة المتبادلة لا التربص والتشل . واذا أردنا صورة أخرى لاشتراكيتنا العربية تمثل اصالة هذه الحياة البدوية التى تنعدم فيها الفوارق الطبقية والمساواة التامة فى الحقوق والواجبات وجدناها فى مثل قصيدة (ميسون) :

لبيت تخفق الارواح فيه
أحب الى من قصر منيف

ولبس عباءة وتقر عينى
أحب الى من لبس الشفوف

واكل كسيرة فى كسر بيتى
أحب الى من اكل الرغيف

وأصوات الرياح بكل فج
أحب الى من نقر الدفوف

وكلب ينبح الطراق دونى
أحب الى من قط ألوف

وبكر يتبع الاظعان صعدا
أحب الى من بغل زفوف

وطرف من بنى عمى نحيف
أحب الى من علج عفوف

ولما بلغت معاوية هذه الابيات منح (ميسون) حريتها وعادت بنت الصحراء الى حياتها الاولى حياة المساواة فى المدر والوبر ولبس العباءة لا الشفوف وأكل الكسيرة لا الرغيف .

وحياة الصحراء هذه كما صورتها لنا (ميسون) وغيرها من الشعراء والشاعرات تفرض على العرب جميعهم اشتراكية سليمة حقا فالطعام واحد والشراب والكساء واحد والبيت واحد وعلاوة على ذلك فهناك الضمان الجماعى فالقبيلة رجل واحد فى السراء والضراء تقدس الحرية وتبغض الظلم وهما الركنان الاساسيان لبناء مجتمع اشتراكى سليم فلا اشتراكية

مع الظلم أو الاستعباد ، لذلك كان العرب أول من أسس في تاريخ الانسانية نظاما لضمان العدالة ونصرة الضعيف المظلوم اعنى **(حلف الفضول)** وهو يفضل بكثير هيئة الامم المتحدة التى ظهرت الى الوجود فى القرن العشرين الميلادى ٠

ويروى ان سبب قيام هذا الحلف هو رد العدوان ، وذلك ان رجلا من بني زبيد قدم مكة معتمرا فى الجاهلية ومعه تجارة له فاشتراها منه العاص بن وائل السلمى وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه ثم تغيب فابتغى الزبيدى متاعه فلم يقدر عليه فجاء الى بنى سهم يستعديهم عليه فعرف ان لا سبيل الى ماله ٠٠٠ فلما راى الزبيدى الشر اوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقد أخذت قريش مجالسها حول الكعبة فصاح بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نائى الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته
ياآل فهر وبين الحجر والحجر

اقائم من بني سهم بذمتهم
أم ذاهب فى ضلال مال معتمر

ان الحرام لمن تمت كرامته
ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وحلف ليعقدن حلفا بينه وبين بطون من قريش يمنعون القوى من ظلم الضعيف والقاطن من ظلم الغريب وقال :

حلفت لنعقدن حلفا عليهم
وان كنا جميعا أهل دار

تسميه الفضول اذا عقدنا
يعز به الغريب لدى الجوار

ويعلم من حوالى البيت انا
اباة الضيم نمنع كل عار

وعن عائشة رضى الله عنها انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول اما لو دعيت اليه اليوم لاجبت ٠٠٠ وفيه يقول الزبير بن عبد المطلب ٠

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا
الا يقيم ببطن مكة ظالم

أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا
فالجار والمعتر فيهم سالم

ومن آثار هذا الحلف فى الجاهلية ما ذكره قاسم بن ثابت فى غريب الحديث ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له يقال لها القتول من أوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمى من يعديني على هذا الرجل؟ فقيل له : عليك بحلف الفضول ٠ فوقف عند الكعبة ونادى يالحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا أسيافهم يقولون : جاءك الغوث : فما لك ؟ فقال : ان نبيها ظلمنى فى ابنتى وانتزعها منى قسرا فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا : اخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه : فاخرجها اليهم ٠

ويذكر صاحب الاغانى ان رجلا من ثمالة قدم مكة فباع سلعة له من أبى بن خلف الجمحى فظلمه وكان يسيء المخالطة فاتى الثمالى الى أهل حلف الفضول فاخبرهم فقالوا له اذهب فاخبره انك اتيتنا فان اعطاك حقك والا فارجع الينا فاتاه فاخبره بما قال له أهل حلف الفضول فاخرج له ماله واعطاه اياه بعينه وقال الثمالى فى ذلك :

أيأخذنى فى بطن مكة ظالما
ابى ولاقومى لدى ولا صحبى

وناديت قومى صارخا لتجيبنى
وكم دون قومى من فياف ومن سهب

ويابى لكم حلف الفضول ظلامتى
بنى جمح والحق يؤخذ بالغصب

واذا تركنا هذا العصر المطل على البعثة المحمدية والذى تجلت لنا فيه اشتراكية العدالة الاجتماعية والمساواة بين أفراد القبيلة الواحدة من ناحية وبين العرب عامة من ناحية أخرى كما تبينا هذا فى حلف الفضول وعدنا ادراجنا عشرين قرنا ق٠م٠ وجدنا صفحة وضاءة من صفحات الاشتراكية الانسانية التى ابتدعناها نحن العرب فكانت اشتراكية رائدة اقتبست بعضها يهودية العهدين القديم والجديد ثم جاء الاسلام فاتخذها بدلا تدل عليه ويدل عليها وهى ليست اشتراكية الحياة فحسب بل اشتراكية الموت أيضا فمن منا لا يقف والنعش يسير ولا يبادر ويؤاجر فى حمله الى مقره الاخير؟ انى الآن مع حمورابى أستعرض

ميثـــاقه وأقابل بينه وبين قادة الفكر الآخرين من اغريق ورومان فاجد البون واسعا بيننا العرب وبينهم وحمورابى من أقدم الشخصيات العربية التى اقترن اسمها بالتشريع والتقنين وتركت لنا أقدم ميثـــاق يعرفه العالم اليوم ويدين له بالشيء الكثير فى تشريعه وتقنينه • واذا عرضت لميثاقه وتحدثت عنه فانمـــا أرجو تصوير المدى الذى بلغه مجتمعنـــا العربى فى الالف الثانى ق٠م٠ من نضج ، والبيئة من رقى • فميثاق حمورابى مرآة الحيـــاة الاجتماعية العربية وقتذاك، وبقدر عناية المشرع بالفرد تدرك مكانة الفرد من المجتمع ، وكلما حرصت الشرائع والمواثيق على ضمان العدالة بين الرعية كلما كان الرأى العام قويا حساسا •

وحمورابى هو ذلك الملك العظيم الذى ينتمى الى الاسرة البابلية التى كونتها القبائل العربية القحطانية التى هاجرت من بـــلاد اليمن ونزلت أرض الرافدين وأسست الاسرة المعروفة فى التاريخ البابلى الاشورى والتى حكمت زهاء ثلاثة قرون •

ومن حسن الحظ انه عثر على كثـــير من الكتابات والآثار التى ترجع الى عصر حمورابى العظيم ومن هذه الكتابات العقود التجـــارية والنصـــوص التشريعية والرسائل السياسية التى تضيء لنا تلك الايام الغابرة والعصور البائدة • ونحن وان كنا نعرف القليل عن طفولة حمورابى فلا نجهل الكثير عن حكمه وأعماله ولا سيما أنه امتد أكثر من نصف قرن كان فيه الراعى الشفوق على رعيته والاب الحنون على أطفاله :

« أنا حمورابى الملك القـــوى ملك بابل مؤسس البلاد ملك شومر واكاد ، انا الذى جعلت أســـوار (سبار) أبراجا عالية ، أنا الذى أمر بكل ترعة تصل بين سبار والفرات ، أنا الذى كسبت بأعمالى رضـــاء الالهـــين (شمش ، ومردوك) • أنا الذى جعلت من (سبار ، وبابل) مدينتين صـــالحتين للسكنى • حمورابى المقرب الى الاله شمش وحبيب مردوك» •

« أنا الذى أحمى الضعيف من بطش القوى وأذود عن الارامل واليتامى وأمرت بحفر ميثاقى على حجر ليبقى ، وأمام صورتى كملك يحمى العدالة ، وعلى المظلوم أن يأتى ويقرأ على نصبى «الحق» الذى يتعطش اليه والعدالة التى يرجوها ، حمورابى كالاب لرعيته وقد وضعت لها ميثاقهـــا لأضمن لهـــا سعادتهـــا ورفاهيتها » •

وقد سعر حمورابى المواد الغذائية وفرض للعامل حدا أدنى للأجر • لذلك لا نعجب اذا اختاره (شمش) اله العدالة والقضاء ـ الاله الذى يبدد بنوره ظلمات التعســـف والاستبداد ويقشع ســـحب الظـــلم والمحسوبية ، الذى يجلو فى النهـــار ما يدبر فى الظلام • هو القاضى الذى ينتقم للمظلوم ومن كل حانث بيمينه أو خائن لعهده أو مرتش أو مراب • وويل للمطففين ـ رسولا فأعطاه ميثاقه وكلفه إبلاغه وأنابه عنه على الارض ليجلس فى كرسى القضاء •

ومن حسن الحظ أيضا أن عثرت جمعية أثرية كانت تنقب فى الجزء المجاور لخليج العرب ونهر دجلة والذى كان يعرف قديما ببـــلاد العيلم فى عامى ١٩٠١ و ١٩٠٢ م على عمود مكون من ثلاث قطع ويبلغ ارتفاعه ٢٤٥ سم بما فيه قمته البـــالغ ارتفاعها ٦٥ سم ومحيطه ١٥٠ سم • وقـــد أمر حمورابى باقامته فى مدينة (سبار) ونقش عليه ميثاقه بلغة البلاد العربية• ويشتمل هذا الميثاق على ما يقرب من ٢٨٢ مادة كلها وصلتنا فى حالة جيدة اذا ما استثنينا بعض المواضع التى أتلفها الملك العيلمى (شوتروك ناهونت) عندما سرق العمود عام ١١٠٠ق٠م٠ تقريبـــا ونصبه فى مدينة سوسه • ويظهر أن هذه المواضع التى أتلفها كان يريد أن ينحت عليها اسمه وانتصاراته ، الا انه عدل عن ذلك فتركها• وقد عثر علماء الاشوريات أخيرا على بعض مواد هذا الميثاق وكانت قد نسخت منه قبل سرقته فساعدت على تكملة الجزء التالف •

وقد قدم حمورابى ميثاقه بمقدمة جاء فيها حديث عن أعماله والاســـباب التى حدت بالاله شمش الى منحه اياها كما انه ختمها بعبارات استنزل فيهـــا اللعنات على من يغير فى ميثاقه ويعدل •

ونستطيع أن نقسم هذه المواد الى اثنى عشر بابا:

الاول من مادة ١ ـ ٥ وهى مواد اهتمت باقامة الدعوى والشهود والقضاة

الثانى من مادة ٦ ـ ٢٥ السرقة والخيانة

الثالث من مادة ٢٦ ـ ٤١ الامور العسكرية

الرابع من مادة ٤٢ ـ ٩٩ الحقل والحديقة والمنزل (الاستئجار والاستثمار والرى والرعى)

الخامس من مادة ١٠٠ ـ ١٠٧ المعاملات التجارية

السادس من مادة ١٠٨ ـ ١١١ المواخير

السابع من مادة ١١٢ ـ ١٢٦ الامانات

الثامن من مادة ١٢٧ ـ ١٩٥ الاسرة

التاسع من مادة ١٩٦ ـ ٢٢٧ العاهات والعقوبات

العاشر من مادة ٢٢٨ ـ ٢٤٠ الاسعار وتحديدها وامور اخرى تتعلق ببناء المنزل والسفن

الحادي عشر من مادة ٢٤١ ـ ٢٧٧ استخدام العمال والحيوان

الثاني عشر من مادة ٢٧٨ ـ ٢٨٢ الرق

فاذا القينا نظرة عاجلة على مواد هذا الميثاق وجدنا العائلة هي التي استرعت عنايته واستحقت اهتمامه فاحاطها بكل الضمانات التي تكفل لها السعادة والهناءة . وبعد العائلة تاتي الزراعة واستغلال الاراضي ثم استخدام العمال والحيوان.فالاسعار وتحديدها الى غير ذلك من الامور الضرورية لبناء مجتمع اشتراكي بالتعبير الحديث .

ففي الجزء الخاص بالاسرة نجد المواد من ١٢٧ ـ ١٣٢ تهتم بالخيانة الزوجية وتوقع اشد العقوبات على مرتكبها اما اذا كانت ظروف ترك بيت الزوجية غيبة الزوج المنقطعة كوقوعه في الاسر مثلا فقد اشترط الوثق خلو بيت الزوجية من المئونة الكافية للقيام باود الحياة ، فالمادة ١٣٣ نصها : اذا وقع زوج في الاسر ، وكان في بيته المئونة الكافية وهجرت امراته البيت والحقل ولجات الى بيت رجل اخر تقدم هذه الزوجة للمحاكمة وتعدم غرقا .

وتنص المادة ١٣٥ على : اذا اسر شخص ولم تكن في بيته مئونة وذهبت امراته الى منز رجل آخر وولدت له اطفالا وعاد زوجها من الاسر وجب على الزوجة ان تعود الى زوجها وتتنازل عن الاطفال لوالدهم .

اما المادة ١٣٦فتختص بالرجل الذي يهجر بيته ويغيب عنهغيبة منقطعة مما يضطر امراته الى الحياة في بيت رجل آخر فان هذه الزوجة لا تعود الى زوجها الاول اذا ما عاد من غيبته وطلبها . اما المادة ١٣٧ ـ ١٤٩ فتهتم بالزواج والطلاق كما تقـرر المادة ١٥٢ تضامن الزوج والزوجة في سداد الديون التي تمت بعد الزواج .

ولم يتهاون هذا الميثاق مع الزوجة او الزوج اذا ارتكب احدهما جريمة تهدم كيان الاسرة فمثلا تقرر المـادة ١٥٣ ان الزوجة اذا قتلت زوجها بسبب رجل آخر اعدمت على الخازوق .

اما نظام المواريث في هذا الميثاق فيعتبر مثاليا حقا فالمـادة ١٦٦ تنص على ان الرجل اذا زوج ابناءه ، الذين بلغوا سـن الزواج ولم يزوج الابن الصغير ثم توفي الاب يسـتولي الابن الذي لم يتزوج على مبلغ من المال مهرا لعروسه ويقسم الميراث بعد ذلك بالتساوي .

مادة ١٦٨ اذا اراد الوالد ان يجرد احد ابنائه من الميراث عليه ان يتقدم الى القاضي ويدلي بالاسباب التي حملته على اتخاذ هذا الاجراء، فان تبين للقاضي ان الاسباب غير وجيهة رفض طلب الوالد .

اما اجور العمال فقد حددها حسـب الفئات فمثلا في المـادة ٢٢٨ يقرر اذا بنى بناء بيتا على المالك ان يدفع له مثقالين من الفضة ، والمادة ٢٢٩ اذا تهدم البيت وسقط على صاحبه وقتله يجب اعدام البناء .

المادة ٢٣٠ لو توفي بسبب سقوط البيت ابن صاحبه اعدم ابن البناء .

٢٣٣ لو تهدم جزء من البيت وجب على البناء ان يعيد بناءه بدون مقابل

٢٣٤ اذا صنع نوتي فلكا لرجل على المالك ان يدفع مثقالين فضه .
٢٣٥ اذا تسرب الماء الى داخل السفينة في ظرف سنة من بنائها على النوتي ان يقدم لصاحبها اخرى .

٢٤١ اذا استاجر شخص ثورا لعمل ما ، عليه ان يدفع لصاحب الثور ثلث فضة

٢٤٢ اذا استاجر شخص ثورا لمدة عام في اعمال الزراعة يدفع لصاحبه ٤ ويبات حنطه .

٢٤٤ اذا استاجر شخص ثورا او حمارا وافترسه وحش في الحقل فصاحبه هو الذي يتحمل الخسارة .

٢٤٥ اذا استاجر شخص حيوانا للحقل ومات بسبب الاهمال او سوء المعاملة عليه ان يعوض صاحبه ثورا بثور .

٢٤٧ اذا استاجر شخص ثورا واصيب بعاهة مستديمة وجب على المستاجر ان يدفع لصاحبه نصف ثمنه

٢٥٠ اذا حدث ان ثورا نطح شخصا في الطريق وتسبب في وفاته فليس لاهل المتوفي الحق في رفع الدعوى .

٢٥٣ اذا استاجر شخص عاملا لحقله وسرق هذا العامل بعض البذور (التقاوي) او علف الماشية ووجدت عنده المسروقات تقطع يده

٢٥٧ اذا استاجر مزارع عاملا يجب ان يدفع في نهاية العام ٨ ويبات حنطة .

٢٦٠ اذا سرق شخص شادوفا او محراثا يجب ان يدفع لصاحبه ٣ مثاقيل فضة

٢٦١ اذا استاجر شخص راعيا للماشية يجب ان يدفع له سنويا ٨ ويبات حنطة

٢٦٦ اذا انتشر وباء في حظيرة المواشي او سطا عليها وحش ونفق منها حيوان او اكثر على الراعي ان يثبت براءته بتادية القسم .

***

هذا هو عرض موجز لميثاق حمورابي ومنه نتبين الاشتراكية العربية الحقيقية فالعدالة مكفولة للجميع لا فرق بين غني وفقير وصاحبعمل وعامل. نعمفرض هذا الميثاق عقوبة قاسية على بعض الجرائم فقضت المادة ٢١٨ بقطـع يد الطبيب الذي يتسبب في وفاة شخص نتيجة اجراء عملية جراحية له أو كان السبب في اتلاف عين مريض . وتقول المادة ١١٠ اذا ادارت

راهبة ماخورا أو دخلته لاحتساء الخمر وجب حرقها. كذلك قررت المادة ٢٥ حرق اللص الذي يسرق من بيت شب فيه حريق . واذا احصينا الحالات التي يجب فيها الاعدام وجدناها أربعا وعشرين حالة ينفذ فيها الاعدام طورا بقطع الرقبة وطورا بالحرق أو الاغراق أو الاعدام على الخازوق . وتشنيعا بالمجرم كان ينفذ فيه أحيانا حكم الاعدام في مكان ارتكاب الجريمة . ومن أنواع العقوبات التي نص عليها القسم الجنائي من ميثاق حمورابي غير الاعدام بتر اعضاء الجسم التي ارتكبت بواسطتها الجريمة كاليدين أو اللسان أو الاذن أو ثدي المرضع . لكن بالرغم من قسوة هذا القانون وشدته لم يثبت ان احكامه الصارمة قد نفذت كما هي ولدينا قضيةسرقة كان يجب حسب نص المادة قتل السارق الا انه اكتفى برد الارض المسروقة الى صاحبتها وكانت راهبة .

واذا كان ميثاقنا العربي الذي جمع سائر أحكامنا القبلية ونسقها قد قسا في بعض أحكامه الا انه نص في المادة الخامسة على عزل القاضي وطرده علانية من كرسي القضاء مع الزامه بدفع المبلغ المحكوم به في قضية ما اثنى عشر مثلا اذا ثبت عليه أنه نسخ حكما كان قد أصدره من قبل في مثل هذه القضية . وتلزم المادة ٢٣ بلدية المدينة التي وقعت فيها سرقة بالتضامن مع رئيسها في دفع تعويض للشخص الذي سرق منه شيء ولم تهتد الحكومة الى السارق . كما تعفي المادة ٤٨ الفلاح من تسديد دينه ودفع فوائده في العام الذي يصاب فيه محصوله بتلف بسبب قلة المياه . وتلزم المادة ١٦١ والد الفتاة اذا فسخ عقد زواج ابنته بسبب وشاية واش ان يرد المهر الى الخطيب مثلين ، ولا يسمح له بعقد زواج ابنته على الواشي .

وغير هذه الامثلة يشتمل ميثاقنا العربي القديم على كثير من المواد التي تتمشى مع أرقى البيئات الاشتراكية في مختلف العصور .

هذا هو ميثاق حمورابي الذي تلقاه من الاله (شمش) في حوالي أواخر الالف الثالث ق.م. وفيه للمرة الاولى تشريع العقوبات بالقصاص من النفس بالنفس والعين بالعين والاذن بالاذن وفيه توكيد توزيع الثروات الطبيعية بين الصالحين القادرين على استغلالها لفائدة المجتمع العربي ، فاستحقت بذلك اشتراكيتنا العربية الخلود .

« د . فؤاد حسنين علي »

الفرح الكبير

للدكتورة : نعمات أحمد فؤاد

حب كبير جارف يهتز له كيان افريقيا
فينبع من قلبها باهرا كالنور
رائعا كالقوة الخارقة
ثم ينطلق كعنفوان الصبا
لايكبح جماحه أحد
وتهمس الأسئلة الى أين ؟
والحب الكبير الجارف
يهيم في الصحاري والقفار
في اصرار ليل نهار
يشق طريقه في الصخر بارادة صلبة وقلب ملهوف
وهوى مشوف
يلفحه الحر والشوق فيتصبب عرقا
ومن عرقه ندى الأزهار
ويغدو اسطورة على فم السمار
وكلما مر ببلد
أضاف الى الاسطورة
نادرة مأثورة
تسلم الليالي الى الأسمار
ولكن العاشق المفتون
في شغل عن الناس وما زعموا
بالسمراء الغالية
في عينيها وحدها سمر وسمار
وخمرتها دوار
ويطوى الحب الافريقي الكبير
السودان
فينبض قلبه نبضا راقصا
انه يستاف ريح الحبيب
وعند أم دنان
وافرحتاه
يلقى حبه
ويعانق قلبه قلبه
وفي موكب من الشعاع
وسجع الحمام
وتغريد البلابل
يزف « النيل » الى عروسه « مصر »

التكافل الاجتماعي في الزكاة

بقلم : عبد الكريم الخطيب

الاجتماع

البشرى سنة الحياة ، وداعية التطور والتقدم ، فما تطمئن لانسان حياة ، ولا يطيب له عيش الا اذا انضوى الى جماعة ، وسكن اليها فائتلف معها ، واندمج فيها ، فكان موضعه منهـا بموضع العضو من الجسد .

واذا كان من شأن الكائن الحى – حتى النبات – أن يتهدى الى التجمع مع فصائله وأجناسه بغريزة بقـاء النـوع وحفظه ، دون أن يكون ذلك عن وعى وادراك ، وعن حساب وتقدير – فان الانسان ، بما له من قوى عاقلة مدركة ، لا يقف عند هذه الغريزة، ولا يستسلم لمعطياتها ، بل انه ليدعم تلك الغريزة بالعقـل ، ويحكمها بالرأى والنظر ، وبهذا يصبح الاجتماع البشرى عملا من أعمال الانسـان ، يقيمه بارادته ، وينظمه بعقله ، وبهذا كان له الحرية المطلقة فى تخير المكان المناسب له فى المجتمع ، وبذل جهده فى الوصول اليه .. ومن هنا اختلفت أوضاع الأفراد فى المجتمع الانسانى ، واختلفت حظوظهم فى الحياة المشتركة بينهم ، ثم لم يكن لهذه الأوضاع وتلك الحظوظ استقرار فى الافراد ، أو فى الجماعات ، اذ كان من شأنها أن تفسح للناس السبل الى تبادلها، وتناوبها بما يقع بين النـاس والنـاس من تنافس وتدافع ، وليس كذلك الشأن فى عالم الحيوان الذى تحكم أجناسه وأنواعه غرائز موحدة ، فى فصائله، وأجناسه ، وأنواعه ، فلا يتعدى أحد منها طوره .

***

وقد التقى الاسلام بالانسانية بعد أن جـاوزت مراحل الطفـولة والصبـا ، وبلغت مرحلة النضج والرشد ، وتأهلت لحمل رسالة السماء الى الانسانية كلها ، فى مختلف أوطانها وأزمانها .

● والمجتمع الذى يقوم من مثل هذه الانسـانية الناضجة الرشيدة مجتمع تتوازن فيه مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، فلا يظل الفرد فى عزلة نفسية ، او عقلية او روحية عن جماعته ، ولا تستطيع الجماعة أن تذيب الفرد فيها ، وتفصله عن ذاته ، وتقطعه عن وجوده .. فهـو فرد فى جمـاعة ، وهى جماعة فى أفراد !

● ومجتمع كهذا ، ينبغى أن تكون الشريعة التى تحكمه – وضعية كانت أو سماوية – مقدرة بهـذا التقدير ، تجمع بين الفرد والجماعة ، بحيث تكون الغاية هى مصلحة الفرد أولا ، تلك المصلحة التى لا تقع على أتمها ، ولا تجىء على أيسرها وأحسنها الا فى بناء اجتماعى متماسك ، يقوم فيه الأفراد مقام اللبنات فى البنـاء ، وتقوم عواطف الحب والمودة بينهم بمكان المادة التى تشد اللبنات بعضها الى بعض، وتمسك بها فى كيان واحد .

***

والذى ينظر فى الشريعة الاسلامية يرى فى وضوح محكم مشرق أنها قد التفتت أول ما التفتت الى الفرد فى خاصة نفسه ، وفيما يتصل بعقله ، وقلبـه ، وروحه ووجدانه .. ثم كانت لفتتها بعد ذلك الى بناء الجماعة الاسلامية من هذا الفرد وأمثاله .. فقد كانت فترة الرسالة النبوية نحوا من ثلاث وعشرين سنة ، وكان دور الوحى فيها ، وعمـل الرسـول أثناءها موجها الى الفرد خاصـة ، مدة ثلاث عشرة سنة ، وهى مدة الوحى المكى ، حيث كانت تعاليم الدعوة فى هـذا الدور موجهـة الى تنقية الفرد من الشوائب العالقة بعقله وقلبه وضميره ، من الالحاد والشرك ، ومن الاستهلاك فى مطالب الحياة العاجلة، دون نظر أو تقدير لماوراء هذه الحياة الدنيا، ومايرجى فى الآخرة من ثواب ، وما يخشى من عقاب .

لقد أجلى الاسلام فى هذا الدور من دعوته غياهب

الشرك ، وظلمات الكفر عن مواطنها من قلوب كثير من الأفراد وعقولهم ، فعرفوا الله حق معرفته، وآمنوا به أوثق الايمان ، وعملوا حسابا للآخرة وللدنيا معا ٠

● وبهذا تهيأ للاسلام أن يقيم من هذا العدد القليل ـ نسبيا الى ما صارت اليه أعداد المسلمين فيما بعد ـ تهيأ له أن يقيم مجتمعه الأول على دعائم وطيدة ثابتة ، هي أعدل وأحكم ما يقوم عليه مجتمع بشرى فى أقصى الحدود التى تبلغها الطاقة الانسانية، ويصل اليها الانسان داخل المجتمع ٠

● وحين تم ذلك وجاء دور التشريع لهذا المجتمع الجديد كانت نظرة الشريعة الى الجماعة الاسلامية متجهة اليها من خلال الفرد ، حيث تقيم اتجاهه فى الحياة ، وتضبط سلوكه فى المجتمع على المبادىء والتعاليم التى غرستها فى كيانه من قبل ، وبهذا يتحرك الأفراد داخل المجتمع حركة متسقة متناغمة، تتردد فيها أصداء الحب ، والتراحم ، والتآخى ، والتساند ، بين الفرد وأفراد الجماعة كلها ، قريبهم وبعيدهم على السواء ٠٠ ومن أجل هذا صلح المجتمع الاسلامى بأن يوصف هذا الوصف الذى وصفه الله به فى قوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » والذى يشبهه الرسول الكريم بهذا التشبيه الرائع المعجز: « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر »

وليس يكفى أن يتلقى الناس دعوات الخير ، وأن تتفتح لها عقولهم ، وتنطوى عليها صدورهم، فذلك وان يكن أمرا لا بد منه لوصل الناس بالخير ولفتهم اليه ، الا أنه لكى ينمو ، ويزهر ، ويثمر ويؤتى أكله ـ لا بد له من أن يمد بالغذاء الذى يمسك حياته ، ويحفظ وجوده ، والا جف وذبل ، وصار هشيما تذروه الرياح ٠

والاسلام اذا وصل الناس بمبادئه ، وأقامهم على تعاليمه وأحكامه لم يغفل أمر الغذاء الذى يحفظ على تلك المبادىء وهذه الأحكام والتعاليم حياتها، ويقيمها فى كيان الناس على الصحة والسلامة والقوة ، ليجدوا خيرها حاضرا عتيدا فى كل حين ، يتزودون منه ، ويحيون به ٠

والمواد التى يقدمها الاسلام لغذاء مغارسه وزيها، كثيرة ، متعددة الألوان ، مختلفة الطعوم ٠٠ بعضها مادي وبعضها روحي ، ومنها ما هو عملى واقعى ، ومنها ما هو نظرى تأملى ، وجميعها تصب فى محيط الانسان ، وتنساب فى وجوده كله ٠

والعبادات من صلاة ، وصوم ، وزكاة ، وحج ، هى الأصول التى يعتمد عليها المسلم فى تثبيت مبادىء الاسلام وأحكامه فى كيانه ، وفى صيانتها وحفظها من العطب والتلف ، أو الضعف والموات ! هذا الى جانب كثير من الوصايا والآداب التى أدب بها الاسلام أتباعه ، وندبهم اليها ، لتفسح لهم مجال التحرك الى الخير عن طواعية واختيار مطلقين ٠

● والاحسان بجميع أشكاله وصوره هو ملاك كل أمر من أمر الاسلام ، وكل عبادة من عباداته ، ووصاة من وصاياه ، وانه بمقدار ما يكون حظ العمل من الاحسان يكون حظه من الثقل فى ميزان الثواب والنفع فى الدنيا والآخرة ، وفى هذا يقول الله تعالى : « وأنفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، وأحسنوا ان الله يحب المحسنين » فالاحسان بانفاق المال فى سبيل الله يعادل الاحسان ببذل النفس فى ميدان الجهاد ، لنصرة دين الله ٠٠ ويستوفى الاحسان حقه فى جانب المال أو النفس حين يوضع كل منهما موضعه ، فى قصد واعتدال ، وفى تقدير وحساب ، فكما لا يلقى بالنفس الى التهلكة بلا ثمن ، كذلك لا يلقى بالمال فى وجوه الانفاق بلا عائدة !

***

والمال فى شريعة الاسلام مصدر غنى من مصادر الاحسان ، اذا هو صادف صاحبا يعرف كيف ينتفع به ، ويحسن التصرف فيه ، ويضعه حيث تقضى به الحقوق ، وتؤلف القلوب ، وتجنى الثمرات ، وتنال الطيبات ٠

وليس انفاق المال بالأمر الهين ، وان بدا لبعض الناس أن المشقة كلها فى الحصول عليه ، والتعرف على وسائل كسبه ، وطرق تثميره ٠ والحق أن عملية انفاق المال لا تقل ـ عند العقلاء ـ مشقة واحتياجا الى العقل والحكمة ، من معاناة اكتسابه وجمعه ٠٠

● وانه لمن اليسير أن ينفق المرء فى ساعات ألوفا من الجنيهات فى غير طائل ، اذا هو تخلى عن عقله ،

وازدرى الحكمة ، ولبس ثوب المقامرين والمتحللين ، ولكن حين يكون للانسان عقل يعى ، وضمير يحس، وجد أن المال الذى بين يديه نعمة من نعم الله ، ومن حق هذه النعمة عليه أن يضعها الموضع الذى توضع فيه النعم ، بحيث تؤدى وظيفتها ، وتجود بخيرها، وهذا أمر ليس من اليسير ضبطه على ميزان العدل والخير والاحسان ٠

● فاذا التمس المرء كسب المال من طرق سليمة، وجاء اليه من وجوهه المشروعة ، كان من مقتضى الحق والحكمة أن ينفقه فى وجوه سليمة ، فينتفع حيث يقع ، والا كان حجة على صاحبه ، وديونة له ٠٠٠ يقول الحسن البصرى رضى الله عنه : « اذا أردتم أن تعرفوا من أين اكتسب الرجل ماله فانظروا فيم أنفقه »

● وكما رسم الاسلام الخطوط العامة لكسب المال من وجوهه المشروعة المستقيمة ، كذلك رسم الخطوط الأولى أيضا لانفاقه فى سبل مشروعة مستقيمة ، يؤدى فيها المال مطالب الحياة الطيبة الكريمة لأصحابه ، فيسعدهم ويسعد من حولهم ٠

وعن طريق انفاق المال ، والاحسان فى انفاقه وثق الاسلام عرى المودة وروابط الحب والأخوة بين أفراد المجتمع ، فجعل تبادل المنافع بينهم قائما على التراحم ، والتعاطف والايثار ، والاحسان ، حتى فى مقام البيع والشراء ٠٠ يقول النبى الكريم : « رحم الله رجلا سمحا اذا باع ، واذا اشترى ، واذا اقتضى » أى طلب قضاء دينه ٠

ولأن أكثر ما يقع بين الناس من بغضة وشحناء ، ومن حسد وبغى وعدوان ، انما يكون عن تحكم شهوة المال وتسلطها على الناس ، حتى لقد تتقطع بسببها علائق القربى ووشائج الرحم بين الأقارب وذوى الأرحام ، فقد نظر الاسلام الى المال نظرة متفحصة متعمقة ، حتى يعتدل ميزانه فى يد أصحابه، وحتى لا تتحول هذه النعمة الى نقمة تهلك الحرث والنسل ، وتأتى على أصحابها ، وتدمدم عليهم ، قبل غيرهم ٠٠ وكان من تدبير الاسلام فى هذا أنه حمل الى المؤمنين به وصاياه بالانفاق فى وجوه الخير والبر، وفتح لهم فى هذا المجال وجوها لا تكاد تحصر ، ولا يكاد أحد يعجز عن أن يكون فى المنفقين المحسنين فى أكثر من وجه من تلك الوجوه ! فأصحاب الثراء والغنى مدعوون فى شريعة الاسلام الى الانفاق فى كل وجه ، وعلى كل صورة ٠٠ بالمال ، وبالقول الطيب ٠٠ اذ المال الذى فى أيديهم هو مال الله وقد فرض الله عليهم زكاته وطهره ، التى هى زكاة وطهر لهم ، فقال تعالى مخاطبا نبيه الكريم : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها، وصل عليهم انصلاتك سكن لهم » ٠٠ ثم ان هذا القدر المفروض منالزكاة فى أموال أصحاب المال هو حق لازم يجب أداؤه ، لا تبرأ ذمتهم الا اذا خرج من أيديهم ، ووقع موقعه من أهله المستحقين له ٠٠ فليس لمن وجبت عليه الزكاة فى ماله أن يخالطه شعور بالمن ، واحساس بالتفضل على غيره ، حين يؤدى هذا الحق المفروض، لأنه قد صار حقا مفروضا لم يعد ملكا له ، وانما هو أمانة فى يده ، وانه ليحسب فى الخائنين للأمانات ان هو دلس فيها أو تهرب منها ٠٠ ولولى الأمر الحق فى أن يطالبه بادائها ، ويرغمه على ذلك ان هو تلكأ أو أبى ، والدليل على هذا قوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين، والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله وابن السبيل » ففى الآية الكريمة مصرفان من مصارف الزكاة هما : « العاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم » يجعلان أمر الزكاة فى قبضها وجمعها الى ولى الأمر ، اذ لا يكون العامل عليها – أى القائم بأخذها من أربابها – الا عاملا لولى الأمر ، ومندوبا من جهته ، كما لا يكون مخرج الزكاة للمؤلفة قلوبهم الا عن يد ولى الأمر وتقديره ٠٠ وهذا دليل على أن الزكاة نظام اجتماعى ، ومورد من موارد الخير للجماعة ، تتولاه بنفسها ، وتقوم عليه بسلطانها ٠

● وبهذا المفهوم للزكاة ، وبهذا الوضع المكين لها ، ضمن الاسلام موردا من موارد الخير ، يمكن اذا أحسن ضبطه أن يكون قوة عاملة فى دعم المجتمع، وفى ترميم المواطن الضعيفة أو المتداعية فيه ٠٠ وهو مورد اذ يؤديه أصحابه طوعا أو كرها ، لا يخرج من أيديهم حتى يحل محله العوض الذى يذهب بما قد يعلق فى بعض النفوس من مرارة وألم حين يذكرون قول الله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » فتزكية مال المزكى ونماؤه ، وتطهيره فى نفسه وروحه من الآثام والذنوب انما هو مما رصده الله له من جزاء حسن ، ومثوبة طيبة : « والله عنده حسن الثواب » ٠

ثم ان للأغنياء وأصحاب الثراء وجوها كثيرة أخرى للبذل والاحسان بعد أن يؤدوا ما على أموالهم من زكاة ٠٠ فهناك الانفاق على الوالدين والأقربين ، واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وفي هذا يقول الله تعالى : « يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين ، والأقربين، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فان الله به عليم » والانفاق على الوالدين الفقيرين ، وعلى بعض الأقارب - في درجات معينة من القرابة - حق واجب ، ثم هو مقدور بيسر المنفق ، وبدرجة يسره : « لا تكلف نفس الا وسعها » ، أما وجوه الانفاق الأخرى فهي مما ترك أمره لاستجابة المشاعر الطيبة الخيرة في الانسان ، ولتلبية دواعي التعاطف والتراحم بينه وبين الناس ، وليس للاحسان هنا حد ينتهي اليه في قلة أو كثرة : « ما على المحسنين من سبيل » ٠٠ انها صدقات مطلقة ، ينكشف بها معدن الانسان ، وتعرف بها خصائص انسانيته ، اذ يبذلها متطوعا غير محمول عليها الا بما في نفسه من خير ، وما في قلبه من مرحمة ، ليخفف بها آلام الانسانية ، وينال بها رضوان الله ٠٠ ولهذا فان الاسلام أطلق للناس المجال الفسيح في هذا الباب ، وجعل اليهم جميعا الطريق اليه ، حتى لا يجد أحد مخرجا لأن يقول : لا أجد ما أتصدق به ، فكل شيء يقع من النفس موقعا حسنا هو صدقة مقبولة ، يحسب بها صاحبها في عداد المتصدقين ٠

● روى عن عدى بن حاتم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » (صحيح مسلم / ٣ ص ٨٦) ، وعن مالك بن أنس في الموطأ قال :

« بلغني أن مسكينا استطعم عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وبين يديها عنب فقالت لانسان : خذ حبة فأعطه اياها ، فجعل ينظر اليها ويعجب ! فقالت عائشة : أتعجب ؟ كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة ؟ » تشير بهذا الى قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » ٠٠ فمن لم يجد التمرة أو ما يشبهها - وهيهات - فان له الى التصدق بابا آخر ، هو الكلمة الطيبة ٠٠ ففي الحديث الشريف : « الكلمة الطيبة صدقة » ، ٠٠ فليس لمسلم بعد هذا عذر في أن يعزل نفسه عن المجتمع الاسلامي ، والا يكون في المحسنين المتصدقين ٠٠ فيأخذ ويعطى ٠٠ وبهذا التدبير الحكيم لا يشعر الفقراء أنهم في مكان الآخذ دائما ، وأن يدهم هي اليد السفلى أبدا ، وفي هذا ما فيه من رعاية لشعور الكرامة الانسانية عند الفقراء ، الى جانب ما فيه من تغذية مشاعر التراحم والتعاطف عند أفراد المجتمع جميعا ٠٠٠ أغنياؤهم وفقراؤهم على السواء ٠

● **ونود أن نلفت النظر هنا الى أمور ٠٠ منها :**

أن كلمات : الزكاة ، والاحسان ، والصدقة ٠٠ كلمات اسلامية محملة بأنبل العواطف الانسانية وأكرمها ، تشيع في كيانها معاني الاخاء ، والتواصل، والتواد ، والتراحم ، وتشع منها معالم الايثار والتضحية والمواساة والمشاركة في السراء والضراء ٠٠ وهذه كلها ينابيع ثرة عذبة ، ترتوى منها شجرة الانسانية ، وتسرى بها الحياة والقوة في أوصالها ، وتمسك عليها التساند والتكافل بين أصولها وفروعها ٠

● ولقد فعل الزمن فعله بهذه الكلمات الانسانية النابضة بالحياة والقوة ، فعاشت في المجتمع الاسلامي معزولة عن تلك المشاعر الطيبة والمعاني الكريمة المندسة فيها ، فبدت للناس أشباحا تتخايل منها صور الفقر ، والمسكنة ، والمذلة والضياع والهوان، وانتظم منها موكب طويل للفقراء والمعوزين والأذلاء والضائعين ! وحق للمجتمع الذي يعرف انسانيته وكرامته أن يلقى هذه الكلمات على حذر ، بعد أن انسلخت من معانيها الطيبة الكريمة التي كانت متلبسة بها ، وحق للمجتمع أيضا الا يهش لها ، وأن يحصرها في أضيق مكان ، حتى لا تلتقى بأفراده ، ولا تشيع فيهم ٠

● والحق أنه ينبغي أن يصحح مفهوم هذه الكلمات وأن يعاد اليها اعتبارها ، وأن يتعامل بها المجتمع الاسلامي كما جاء بها الاسلام ، رسل مودة وتراحم وتآخ بين الناس ، وبهذا تزايلها هذه الوجوه البغيضة المنكرة التي يتأذى بها الناس ، وخاصة الطرف المستقبل لها ، وذلك حين يشعر الذين يبذلون أنهم ليسوا أصحاب فضل أو يد على الآخذين لأن ما بذلوه انما هو من فضل الله أولا ، ولأنه حق لله في أموالهم ثانيا ، ثم لأنهم استوفوا جزاءهم من

الله ثالثا ٠٠ أما الذين هم أهل لأن يأخذوا من الزكاة والصدقات فليس عليهم من بأس لأنهم انما يأخذون حقا فرضه الله لهم ، وبهذا لا تنفصم مشاعر المودة والأخوة بين المعطين والآخذين ٠٠

« عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان معه فضل ظهر – أى دابة للركوب – فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ٠٠ قال أبو سعيد : فذكر رسول الله من أصناف المال ماذكر، حتى رأينا انه لا حق لأحد منا فى فضل »

● ومما ينبغى أن نلفت اليه النظر أيضا أن الاسلام مع دعوته الى التواصى برعاية الفقراء واعانة المساكين والمحتاجين لم يرد بهذا الا أن يسد تلك الثلمات التى تظهر فى بناء المجتمع ، حتى يظل قائما متماسكا ، لا تنخر فى كيانه عوامل التفتت والانحلال ٠٠ وفى الوقت نفسه دعا الاسلام الى العمل ، وهتف بالكسالى والمتخلفين أن يعملوا ، وأن يخرجوا بأنفسهم من دائرة السائلين والعالة على الناس ٠٠ فهم فى هذا الوضع أيا كانوا ، وأيا كانت ظروفهم وأحوالهم فى منزلة دون منزلة من يقومون بكفالتهم والانفاق عليهم ٠٠ يقول النبى الكريم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « يأتى السائل يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم » ويقول : « ما أكل احد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود – عليه السلام – كان يأكل من عمل يده » ٠

● وبعد ، فان دعوة الاسلام الى الاحسان فى مختلف صوره هى منهج تربوى حكيم فى شد المجتمع بعضه الى بعض ، وربطه بروابط المودة والاخاء ، وفى محاربة سلطان المال على النفوس ، وتسلطه على الناس ، وملء قلوبهم بالأثرة والجشع ، والشره ، ثم التحاسد والتباغض ، ثم الحرب والقتال !

ان الاحسان فى الاسلام – وعلى رأسه الزكاة – هو درس عملى للتخفف من حب المال ، والخروج عن سلطان شهوته ، التى تغتال أوثق الروابط بين الانسان والانسان ، فلا تبقى على مودة أو حب أو اخاء ٠

● والمادية التى استشرى شرها فى الغرب قد أحالت الناس هناك الى آلات عاملة لحساب المال ، وللحصول عليه فوق أشلاء الضعاف ، والمرضى ، والبله والمجانين ، ومن اليهم ممن لا يقومون فى الحياة الا بمن يسند ويعين ٠

ولقد تحولت هذه المادية الطاغية الى عقيدة ودين ٠٠ فقام لها من بين الناس دعاة ومبشرون ، تقدموا بها الى الناس فى فلسفات تلبس ثوب العقل والمنطق والحكمة !

يقول الفيلسوف « نيتشه » : ان الرحمة ، والتعاون ، والحب وكافة الفضائل الدينية ، مجموعة من الدجل والخرافات ، تستهدف رعاية الغوغاء والدهماء والقطعان !٠٠ وهؤلاء جميعا ، من فقراء ، ومرضى ، وضعفاء – يعوقون التطور الانسانى ، فى حين أننا يجب أن نخلص لنوعنا البشرى ، بأن نبقى على الأقوياء فى الذهن والجسم والروح ، وأن نعمل على افناء الآخرين ، حتى نحصل فى النهاية على « السوبرمان » !!

هكذا يرتل هذا الفيلسوف الكبير أنشودة الحكم بالاعدام على عواطف الرحمة والتعاون والحب ، ثم بتنفيذ هذا الحكم فيمن يستأهلون الرحمة والعون والحب من المرضى والضعفاء ! انه يرتل هذا الحكم الأسود المشئوم وكأنه يوقع لحن السلام ببشرى انتهاء حرب عالمية !!

لمثل هذا الموقف الحرج المتأزم ، ولمثل هذا المصير الكريه البغيض الذى ينتظر الانسانية اذا هى آمنت بهذه الدعوة وما شاكلها – لمثل هذا رصد الاسلام – وكل دين سماوى – هذا الرصيد الضخم من عواطف التراحم والتعاطف والاخاء ، التى تنضح بها عوارف البر والاحسان والتى يذهب بها الاسلام مذهب الفرض المحكم اللازم ، الذى لا يعد المسلم مسلما الا اذا آمن به وأحسن أداءه ، ونعنى به الركن الثالث من أركان الاسلام ، وهو الزكاة ٠

« عبد الكريم الخطيب »

هذه بعض النماذج

للدكتور : أحمد كمال زكى

فى المقال الذى حددت به رايى فى القصة القصيرة المعاصرة ــ وقد نشر **فى العدد ٨٣ من الرسالة** انتهيت الى أنها كالرواية الجديدة وكأجناس الادب الاخرى شجبت الأساليب التقليدية بحيث لم يعد من السهل أن نرى الاعمال التى تشبه أعمال موباسان لا من ناحية الصنعة والبناء الفنى ولا من ناحية المضمون .

***

واضيف هذه المرة اضافة ربما يراها كثيرون غريبة ، ولكنها على غرابتها تمثل واقعنا القصصى داخل جمهوريتنا بصفة خاصة . وتلك ان ميدان القصة القصيرة خلا ــ او كاد ــ من ابطاله الذين صالوا فيه وجالوا حتى الخمسينات من هذا القرن **فيوسف ادريس وسعد الدين وهبة** نزعا الى الدراما ونالا فيها مايبغيان . **وامين يوسف غراب** سرقته اعمال المجلس الاعلى وتريد ان تسرق **حافظ رجب ، وفاروق خورشيد** ــ وهو احد القلة التى تفهم طبيعة القصة ــ شاء ان يجعلها قربانا على مذبح البحث فى قيمة السير الشعبية ، وعبد الرحمن فهمى صاحب «سوزى والذكريات» شغلته عنها اهتماماته الاذاعية وما يجرى مجراها.

***

رائد واحد ظل واقفا ــ مع ان الرواية مجال تخصصه ــ واعنى به **نجيب محفوظ** ، ومن ورائه جيل لااظن اننا سمعنا به كما كنا نسمع بادريس وغيره ، ويحاول هذا الجيل ان يواكب الحركة الجديدة على نحو مايفعل **فاروق منيب** في مجموعته «زائر الصباح» فيعبر عن ازمة العصر ويكتب عن الضياع بلا اعتماد حقيقى على تطور الاحداث الخارجية .

واذا كان ثمة من يسرد اسماء يكتب اصحابها القصص القصيرة على صفحات الجرائد وفي المجلات التى تعنى بفن القصة ، فاننى احسبه على غير صواب لان هؤلاء لا يعيشون حقيقة التطور ولايفهمون تماما ان القصة عمل فنى قوامه الوعى الدقيق اليقظ بالحياة . **فليس هو شيئا عن بنت** الجيران الفنية وحبيبها الموظف الفقير ، ولا هو عن الزوجة التى تذهب الى الشاطىء فتستعيد ذكرى الحبيب الاول وقد تلقاه في نجوه عن الزوج الذى تضيع معه شبابها ، ولا هو كذلك عن الصراف الذى يختلس اموال الدولة من اجل راقصة ، وهكذا .

***

القصة الجديدة هى العمل الذى يهمل التسجيلية الدقيقة ويرفض التفصيلات فى حدود فهم التجربة على انها معاناة تشبه معاناة الشاعر فى قصيدته . لقد ذكرت ذلك قبل فيما ارى ، واليوم اسوق نموذجا لحافظ رجب بمثابة تطبيق لمن ينشد التطبيق ، وهو اذا لم يكن حقيقة ابرز النماذج في القصص العربى فانه اوضحها واجرؤها مع ان ثمة من يترصد له ويحاول ان يقضى على محاولاته المجدية .

هذا النموذج هو «الطيور الصغيرة» ويستطيع اى قارىء لتلك القصة ان يفطن بسرعة الى انها لاتخضع تماما الى ماتؤخذ به القصة التقليدية . الحدث بسيط فى حد ذاته ، ويمكن تصويره بانه محاولة لاقتناص انثى من بعلها ، ولكن السياق الذى يجرى قفزا يمزج بين التصوير والتقرير وبين الواقع والخيال وبين الحقيقة والوهم . ولعلنا

نحس شيئا كثيرا من الانطلاق من ربقة المنطق ، وقد تغيم الرؤية احيانا ويتلاشى الزمن حتى تستحيل العملية القصصية مجرد تعبير انفعالى سيال . واما اللغة فهى فى رقتها وشاعريتها — احيانا — تخرج في جملتها على اللغة التى كانت تتخذ اداة مميزة للقصة الواقعية التى كان يكتب امثالها **يوسف ادريس وعبد الرحمن فهمى** ، بل تعمق او تزداد عمقا عندما يرمز بها رموزا حلوة عبر بها نطاق المحلية الى الآفاق الانسانية البعيدة .

ويفوقه توفيقا فى هذا الاتجاه قاص سورى يوضع اليوم في مقدمة قاصينا الذين ترفض اعمالهم المقاييس الموضوعة من قبل المدرسيين ، وهو اديب نحوى فى قصته المشهورة «ليلة الزفاف» والقراءة الاولى تكشف فورا عن انها ليست كأى قصة قصيرة نقرؤها فى مجموعة **نجيب الكيلانى** «العالم الضيق» وليست من قبيل «نعم عدت» التى كتبها **ثروت اباظة** بالمنهج الذى يضع القاعدة ويستهدف التطبيق الدقيق ، ثم هى لايمكن ان تقارن بقصة **صوفى عبد الله** «مذنب ام غير مذنب» التىتستجدى المنطق الشكلى فى رصد حوادث معقدة لامفرى وراءها الا بضرب من التأويل البعيد .

هى قصة يشترك فى بنائها اكثر من صوت ، وتصطنع اسلوبا مبتكرا في السرد من زوايا مختلفة وباثارات رشيقة وايماءات موحية لتناقش قضية الانفصال البغيض مناقشة رائعة ، وتبين صفحات بطولية للمكافحين في حلب . ومنهم احمد بن حسن بطل — بطل القصة — وبطل من ابطال المقاومةالذين يرفضون متاعهم الشخصى قبل ان تحل قضية الوحدة حلا نهائيا .

ويذكرنى **اديب نحوى** بدوره بقاص من غزة اسمه على **زين العابدين الحسينى** اسهم في حركة المقاومة بقصة « نبى بلا أحزان » ، وهى ايضا من النوع الذى لا يرضى المدرسيين لأنها تخرج على قواعدهم ولاتنهض بمقوماتهم . ويلاحظ لأول وهلة ان هذا القاص لايحاول ان يقدم البطل «الفرد» الذى يلوذ بالغابات كروبين هود ، او الذى يسرع الى سيفه وخنجره ككابتن بلود . بل لم يحاول ان يستقطب فيه أشياء من « سيزيف » ! و « بروميثيوس » ، وانما جعله انسانا عاديا له مطامعه وطموحه وله اخطاؤه ومنطقه المعوج ، فهو قد يخطىء ويسقط ثم يحاول ان ينسى خطأه بالخمر ، ثم هو يلجا الى قوى الظلام باعتبارها نهاية المصير .

السرد فى هذه القصة يقترب من السرد التقليدى وان يكن يشجبه احيانا ، الا ان الجديد هو عرض الموضوع ، وبرزت جدته بصفة خاصة عندما تمكن الحسينى من ان يجعل تاملات بطله متواثبة، فعقد بين تمزقه النفسى وبين بعض اساليب القصة الضد ، واستطعنا ان نقف فى هذا على اكبر قدر من المعاناة — وهى معاناه التجربة لمحنة ضياع فلسطين — باقل قدر من التعبير . ولقد انتهى البطل الى مثل نهاية بطل كامى في « السقطة » التى المعنا اليها ، يجمعهما الشعور بالألم وكذلك الجبن متكئين على نوع من الحوار الباطنى الذى يجنح الى تحليل الأفكار على طريقة جيمس جويس .

***

ويتبلور كل هذا فى قصة طويلة — وهى غير الرواية طبعا — لقاص ظهر فجاة فى العالم العربى اسمه **غسان كنفانى** ، وقصته بعنوان « رجال في الشمس » ، تعد فى رأيى احسن ما قدم فى أدب النكبة على الاطلاق ، وتستخدم عنصر الرحلة مع الاحساس بالغربة أو بالرغبة في التغرب لتكشف عن ضياع الانسان العربى — برغم تطلعه الى الخلاص — وتمزقه .

وصياغة القصة تخرج نهائيا عن الصياغة التى الفناها لدى كتاب القصص الواقعي والقصص الرومانسى والقصص التخييلى جميعا ، وتلجا الى كل ما يبلور المشكلة فى كل ابعادها ويطرح العلل ويعرى عنها بلا خجل . ويعتبر بناء هذا الفنان اللغوى من افخم الأبنية واصحها ، ولولا انه يراوح في السرد بين الانا والهو والانت — في آن واحد — لهلل له البلاغيون بما لم يهلل به لأحد . وقد استطاع بهذه الوسيلة ان يصل الى ما يريد من اقرب سبيل ، وكأنى به يتعثر فى الطريق لو انه جنح الى الاسلوب المألوف والصياغة المألوفة والشكل المحدد باكثر من حد .

***

تلك امثلة .. مجرد امثلة لا نرجو من التنبيه عليها سوى أن يعاد النظر فيما يصدر عنه ادباء

القصة في هذه الايام ، ولعله لم يغب عنا ان التغيير اصاب الشكل والمضمون معا . فكان القصة الضد بناء قلب فيه كل شيء وتغيرت ابعاده وآفاقه واضمحلت فيه القضايا المحدودة والموضوعات المبتذلة . بل يبدو ان اصحاب القصة الضد وجدوا ان «التكنيك» القديم لايسعفهم دائما في طرح التساؤلات الضخمة وفي حمل احتجاجهم والبحث عن مصيرهم ، ولهذا لا نعجب أن نراهم يستعينون بالاساطير ـ والاساطير عمدة الشعر المرسل اليوم ـ يجدون فيها ـ وقد علقوا حالاتهم عليها ـ ما يطمعون فيه من حلول .

***

واحسن مثل يحضرني في التدليل على ذلك « منزل على شاطىء البحر » للقاص الجزائري **دريس الشرايبي** ـ وهو يكتب بالفرنسية ويفكر كما يفكر العرب ـ الذى اعتمد اكثر من عمل اسطورى ليضع ايدينا على ازمة الانسان المعاصر في اكثر من وجه لها . وموضوع القصة هو الرحلة ، ولكنها رحلة وراء الراحة كانما هي نهاية المطاف ، بعد حياة دائبة اصابت الجسم بالوهن .

وحتى نصل مع برتلمي ـ بطل القصة العجوز ـ الى نهاية المطاف على شاطىء بعيد جدا يبرز الخوف مقابلا للرجاء في رصد ذكي للمرور عبر الزمن . وبعبارة اخرى يبدو ان الكاتب بعد ان يبين «معنى» الحياة يستشعر قلق ان يدهمه الموت دون أن يتفقه هذا المعنى في عزلة عن حقول الناس ومنتدياتهم . ونحس من قريب ان « النفي » يلعب دوره في تحديد مصير كل انسان يرى انه غريب ، وعندما بدات الرحلة نرانا وجها لوجه امام سندباد جديد ـ وان يكن عجوزا في الستين ـ يصفي اعماله ويلتمس صخرة منعزلة على شاطىء هادىء يبني فوقها بيتا يعيش فيه بقية حياته متاملا ومستمعا الى الموسيقى !

وتطول الرحلة عبثا لانه لم يجد الصخرة الموعودة بحث عنها على كل شاطىء من شواطىء البحر المتوسط ، وبحث عنها على طول المناطق المشرفة على المحيط الاطلنطي . وبعد ثلاث سنوات يرحل الى جزر « يو » ، حيث يعثر على ضالته ـ أو هكذا يتوهم ـ وهناك يجلس ليدرس « حالة » البحر كل يوم ، ويتبين اخيرا انه يضيع عمره عبثا ، وفي منفاه يقرر انه يبدا حياته من جديد !

ان دريس الشرايبي فيما يبدو من قصته القصيرة تلك ، فنان يمزج عمله باكثر من قضية من قضايا عصره المربكة ، ويمكن وصف طريقته ـ من حيث هو قصاص ـ بالطريقة الاجودية . فهو يقف عند مشكلة الحياة كلها ، ويسير بها عن طريق السرد والتداعي الى حيث تفرض الحياة منطقها ، وفي أثناء ذلك يكون الاستكشاف المنشود .

وهو لايعرض فلسفة ولايفرض رايا ، ولكنه يدلل على ان المرء الذى يسعى ويسهل عليه ان يتقبل كل ما هو موجود يثور احيانا على ذلك المنطق الجبرى ، ويصل بالضرورة الى النقطة التى تجمعه ببعض فلاسفة الوجودية وهو يسال : ماهذا العالم ؟ وكيف يؤكد الانسان وجوده فيه ؟

***

وبعد فكم يقتضينا ان نسكت عن قضية القيم في القصة الضد ؟ ان هذا العمل الفريد ليس شعوذة وليس مجرد محاولة للتخلص من مشكلات الشكل الفني ، وهو يحتاج من النقاد الى اكثر من مخلص والى اكثر من ذكي ، لانه لاشك يعطي كثيرا بل هو اكثر عطاء من ضريبه التقليدى والموروث .

« د . احمد كمال زكي »

القومية العربية .. ومؤامرات التخريب

بقلم : محمد جلال كشك

– ٤ –

فى عشية الحرب العالمية الاولى ، وبالذات خلال انعدوان الايطالى على طرابلس الغرب ، أيقن العرب انه لا أمل فى الترك ٠٠ بل ان استمرار ارتباطهم « بالاتحاديين » (حكومة وجماعة الاتحاد والترقى الحاكمة فى الآستانه) يعنى تسليم آسيا العربية للاحتلال الاوروبى ٠

وهكذا تحقق العرب من ان هؤلاء الحكام الجدد ، الذين استقبلوا بأعظم الآمال وأصدق الاخلاص ، والذين خلعوا عبد الحميد ، وبدأوا لعبة البرلمان الممسوخة والمشوهة ٠٠ اما عملاء صرحاء للاستعمار الغربى ، واما مرضى بهذا الاستعمار ، قد وصل سمه الى نخاعهم فشوه تكوينهم ، وأفسد تفكيرهم ، حتى أصبحوا يرون الترياق فى سمه ، والدواء فيما يرميهم به من داء وبيل ٠٠ وتمزقتهم العمالة أو التبعيه الروحيه ، ما بين محور المانيا – النمسا او بريطانيا – فرنسا – روسيا ، وبين الجماعات المعاديه للاسلام مثل الماسونية والصهيونية ويهود «الدونمه»

لقد كانت سلطنة عبد الحميد ، على تخلفه وظلمه واستبداده – الذى فاقه استبداد الاتحاديين ثم الكماليين – رغم ذلك كانت سلطنة عبد الحميد تقاوم ، ولو بالنيه ، الغزو الاستعمارى وترفض التفرقه بين عناصر الامة وخاصة بين الترك والعرب ، بل ان السلطان عبد الحميد قد نفى دعاة العصبية التركية وحرص على أن تضم حاشيته عددا كبيرا من العرب ٠٠ فلما جاء الدستوريون وضعوا فى وزارتهم ثلاثةمن اليهود ووزيرا عربيا واحدا ثم أبعدوا الوزير العربى ٠٠ وثاروا لانه عين أربعة موظفين فى وزارة الاوقاف من بين ٥٠٠ موظف ! ٠٠ وانقصوا عدد الموظفين العرب فى وزارة الخارجية عما كان عليه الحال أيام عبد الحميد ، ولأول مرة بدا تقسيم الناس وفقا لجنسياتهم ووضع رمز (ع) أمام العرب الذين اختصوا بكراهية عصابة «الاتحاد والترقى» ٠

وقد رفض عبد الحميد ان يبيع فلسطين لليهود ، ربما بسبب العصبية الدينية ، أو لمصلحة سياسية جعلته يفهم أن ذلك يفقده تأييد العرب والمسلمين فلما خلعه الدستوريون ، عاقبوه بان ارسلوا له نفس اليهودى الذى فاوضه فى بيع فلسطين وطرده السلطان ٠٠ وهو اليهودى عمانوئيل قرة صوافندى ، أرسلوه ليبلغ الخليفة قرار الخلع !٠٠ لم يجدوا سواه (راجع كتاب المجاهد الاسلامى عبد الله التل) ولكى يبدو المرء متفقا عصريا يجب أن يرى فى ذلك مجرد مصادفة وليس مخططا صهيونيا عريقا ! ٠

وفتح الحكام الجدد أبواب فلسطين لليهود حتى ثار الممثلون العرب فى مجلس المبعوثان ٠٠

وفتحوا أبواب الدولة للنفوذ الاوروبى ، وفرحت بهم أوروبا وعملاء أوروبا ٠٠ حتى قيصر روسيا ٠٠ سر جدا لسقوط الحكم الاستبدادى فى تركيا ، وقيام حكم الشورى !٠٠ وكان الترجمان الاول فى السفارة الروسية فى الآستانه مسيو آندرى ماندلستام هو الناصح والمشير الرئيسى لرؤساء جمعية «الاتحاد والترقى» (العرب والترك ٠٠ توفيق برو) ٠٠

ولا ندرى مادام هذا هو شعور القيصر نحو الحكم الدستورى فلماذا لم ينقذ عرشه وعنقه باقامته فى بلاده ؟!

وان كان القيصر قد عزز سروره هذا بالتآمر على اقتسام الدولة فى عهد « تركيا الفتاة » ٠٠

فقد اورد سفير المانيا فى لندن انه قد تم الاتفاق على ان تكون « حصة روسيا هى الولايات الشرقية ، وحصة فرنسا: الولايات السورية ، وحصة بريطانيا العظمى العراق والمنطقة التى تجتازها سكة حديد آزمير – آيدين ، وحصة المانيا آسيا الصغرى ٠٠»

وقام الحكم الدستورى فى تركيا بكل ما يمكنه

لاستفزاز العرب ، ودفعهم الى الانفصال أو اليأس والارتماء فى أحضان الحماية الاوربية ·

وكانت هذه الحماية فى الانتظار ·· كما تلقفوا الحركة الاصلاحية على نطاق الدولة العثمانية ، فشوهوها وأجهضوها، وسمموها بافكارهم، ودسوا فيها بعملائهم ·· فقضوا على التطور الممكن ، الذى آمن به زعماء الاصلاح منذ الافغانى ·· وهو قيام دولة عظمى عصرية اسلامية تضم العرب والترك تصد عن الشرق الزحف الاستعمارى ، وتحرر ماوقع منه فى شباكه ·· فلما تحطم هذا الامل على يد الاتحاديين ، وبدا أن التطور الطبيعى هو خروج العرب بثورة عربية اسلامية تنقل الخلافة الى العرب ، وتوحد عرب آسيا فى دولة مستقلة مرتبطة تمام الارتباط بعرب افريقيا تحت الاحتلال ومن أجل تحريرهم ، يستدعهم ويشد أزرهم المسلمون فى العالم أجمع ··

عندئذ نشطت المخابرات الاستعمارية لاجهاض هذا الاحتمال وافساد هذا التطور ·· ليتحول الى مسخ يقود لورنس زحفه ·· ليسلم الراية من بعده لعصابات انطون سعاده وأضرابه ··

كان المخطط الاستعمارى لافساد الثورة العربية واجهاضها ثم تشويه معنى القومية العربية يقوم على عدة أسس أهمها فى بحثنا هذا :

أولا : الفصل بين العروبة والاسلامية باختراع القومية العلمانية ، مستغلين تخريب الاتراك ، وتحويل الثورة ضد الاتحاديين الى ثورة ضد الدولة العثمانية ثم ضد الخلافة ·· بل الانفصال عن الاسلام ·· والزعم بأن هذه الثورة تطور طبيعى حتمه نمو القومية العربية وثورتها الوطنية ضد الاستعمار التركى ·· مع العلم بأن أى محاولة لتطبيق تعريفات القومية أو الثورة الوطنية على العرب لا تفضى الى شىء ·· ولكن قبل أن نناقش هذا ·· انقل هنا حديثا نشر فى روزاليوسف اليومية سنة ١٩٣٠ ·· جاء فيه :

« نشرت جريدة الطان الفرنسية حديثا لمكاتبها البيروتى عام ١٩١٣ مع أحمد مختار بك عميد شباب بيروت المثقف جاء فيه : »

المكاتب : لا شك انكم تحتاجون فى صراعكم بطلب الحقوق العربية المهضومة الى تأييد الدول الاوروبية سياسيا لحركتكم والعطف عليها ·

أحمد بك : كلا ، اننا انما نطالب بحقوقنا الدولة العثمانية ، التى هى منا ونحن منها لنتقى هذا العطف الاوربى ، الذى نعلم كل العلم ماذا تقصد به الدول الاوربية · لاننا نعتقد أن أوربا ولا سيما فرنسا منذ الفتنة الماضية المعروفة بفتنة الستين تسعى جهدها للرجوع نهائيا الى سوريا ··

المكاتب الفاجر : يلوح لى انكم معاشر المسلمين ولاسيما من تعرفت اليهم حديثا فى بيروت والآستانه تكرهون فرنسا لأسباب دينية وكنت أظن الثقافة الحديثة عندكم تنبو عن مزالق التعصب الدينى ولا سيما فى هذا القرن ··

اوروبا كانت تريد أن تغمر بعطفها الحركة العربية ، أما اذا تنبه العرب لما يدبر لهم فهم متعصبون دينيا ·· ولا يليق أن يتعصب المثقف وخاصة فى هذا القرن ! ·· الأليق به هو التسامح فى دينه ووطنه وعرضه !!··

ثانيا ولخدمة أولا : حصر الحركة العربية فى آسيا العربية، لسببين ·· أولهما ان افريقيا العربية لم يكن من السهل أبدا فصل العروبة فيها عن الاسلام لا فى مصر قلعة الاسلام ولا فى المغرب العربى حيث الاستعمار الصليبى المفضوح لايستطيع ان يخفى طبيعته او أن يبشر بقومية علمانية مزعومة وهو يمارس الاهداف الصليبية بتعصب يفوق أحلام لويس القديس صاحب الحروب الصليبية ··

والسبب الثانى انهدف هذا النشاط الاستعمارى كان تقويض الدولة العثمانية فى آسيا العربية وتسليمها بالاحتلال الغربى ، أما افريقيا العربية فكان قد تم احتلالها بالفعل ، فلم تكن ثمة حاجة لتنظيم ثورة عربية بها ·· وقد ورثت الحركات القومية منذ انطون سعادة هذا المخطط ، فنراها تقصر نشاطها فى ما يعرف بدائرة الهلال الخصيب·· أو قد تتجاوزه ، ولكنها لا تتخطى قناة السويس الى أن قامت ثورتا ناصر والجزائر ، فالى ما قبلهما لا نجد نشاطا لهذه الحركات فى افريقيا العربية مع شديد حاجتها الى حركة عربية وحدوية ·· وبعد قيام الثورتين كان وجود هذه المنظمات فى افريقيا ··

هو غالبا لمعارضتها وتخريب اتجاهاتها الاسلامية والوحدوية الصادقة ..

ولتحقيق هذا المخطط نشط الاستعمار الزاحف لتجنيد العملاء ، وافساد العقول ، فى الداخل عن طريق القناصل والمبشرين والارساليات والمدارس ، والجرائد التى مولها أو أصدرها ، بواسطة حملة جوازات السفارات أو الحماية .. وبالمستشرقين الذين اندسوا يعدون التقارير باسم الدراسات عن كل شىء لتعبيد الطريق أمام الاساطيل ، وينبشون كل حجر باحثين عن بذور التفرقة فيثبتون أن البربر ليسوا من العرب ، وان اللهجة البربرية لا تنتمى للعربية .. ومن تم فان تنصير البربر ممكن وواجب ! وان الاسلام لا يصعد الجبال فهو دين السهول ومن تم فان جبل لبنان يجب أن ينفصل عن عرب الصحراء ! .. وأن الأذان عند الشيعة غيره عند السنة ومن ثم فان البصرة يجب أن تلحق بحكومة الهند ! وان اللغة العامية فى مصر جذورها فرعونية ، وجنازة الأربعين عادة فرعونية ، لأن التحنيط كان يستغرق أربعين يوما .. (بالرغم من أن هذه العادة موجودة فى العراق) !!) ومن ثم فمصر ليست عربية ، ويجب الا تشغل بالها بالعرب او فلسطين .. الخ الخ ..

هذا عن تخريب الداخل ، وفى الخارج بتكوين الجمعيات المشبوهة وبصفة خاصة فى باريس التى كانت تعمل منذ سنوات لاحتلال سوريا .. وفى القاهرة حيث رأس الأفعى .. الاستعمار البريطانى، الذى تمرس فى التخريب ، وعرف من أين يصاب القلب .

على انه قبل ان نستعرض هذا النشاط المشبوه ، يجب ان نقول ، ان حركة ثورية سليمة كانت تتجمع فعلا .. وان الثورة العربية لو قدر لها ان تتجنب تخريب وتشويه الاستعمار لكانت قد غيرت وجه المنطقة .. ولان حركة ثورية كانت تتجمع فان عددا هائلا من ذوى النوايا الطيبة ، انضموا اليها بل استجابوا وانخدعوا بتغرير المغررين والعملاء .. فبقى لهم حسن النية وان اخطاهم التوفيق .

ولان الظرف الذى تجمعت فيه هذه الثورة كان تعسا ، فقد تحالف عليهم جهل وارهاب واستفزاز الحكومة التركية ، ثم فاجاتهم الحرب العالمية الأولى، التى قلبت كل الخطط وقضت على اناة العقلاء .. لذا فان عددا كبيرا قد استفزه سلوك الترك الى حد مجافاة الاسلام ، وآخرون ،وقد اسقط فى أيديهم وكان عليهم ان يقامروا قبل ان تنتهى الحرب ، وقد خيم عليهم الياس ازاء التفوق الساحق للحلفاء ، ثم اصرار الترك على رفض حتى مجرد اصدار وعد ولو مجرد وعد .. لذلك قبل هذا الفريق المقامرة على جواد الحلفاء، رغم معرفتهم بنياته الشريرة ولكن ما حيلتهم .. ؟ ! والمقامر اليائس يخسر دائما ..

كل هذا لايمنعنا من ان ندين العملاء الذين خربوا بوعى وبقصد ، لتسليم آسيا العربية للاستعمار وتخليده فى افريقيا العربية .. ولا يمنعنا ايضا من ان نقوم الحركات التى قامت خلال الحرب العالمية الأولى ، والتى يسميها البعض الثورة العربية ..

على أنه يجب أن نعرف ، انه الى ما قبيل اندفاع العرب الى الانفصال وبالذات فى الأيام الأولى للحكم الدستورى ، كان العرب من المسلمين والمسيحيين ، يؤمنون بالوحدة العثمانية ، بل كان المسيحيون لا يخفون حماسهم لهذه الوحدة .. الا أن السياسة التركية والخبث الاستعمارى قد استطاعا أن يتسللا عن طريق الدين بهدف التخريب .. ويقول الاستاذ « ادوارد عطيه » فى كتابه « عربى يحكى قصته » كان ميل الروم الكاثوليك والموارنه الى الافرنسيين ، وميل الروم الارثوذكس متجها الى روسيا ، والبروتستنت الانجليكان نحو انجلترا » .

ويقول الاستاذ ادوارد فى كتابه « كان السوريون المسيحيون **يكرهون السيادة التركية ، ويتطلعون نحو التحرر منها ، لا بقصد تاليف دولة سورية مستقلة ، لا'نهم يكونون فى مثل هذه الحالة مضطرين لان يخضعوا لحكم يشكل فيه المسلمون اكثرية ساحقة ، وعندئذ يتعرضون حسب اعتقادهم الى الاضطهاد والظلم .وعليه كانوا يتطلعون نحو التحرر من السيادة الاسلامية بمساعدة دولة اوربية تطرد الترك من البلاد وتحكم سوريا بدلا منهم . ان ذلك لم يكن يعد خضوعا لسيادة أجنبية ولم يكن الأمر كذلك مادامت الدولة الاوربية المسيحية هى من نفس الديانة التى يعتنقونها ؟ اليس اهلها اخوة لهم فى المسيحية ؟ » .**

وهكذا كان الاستعمار يخدع المسلمين باسم القومية العلمانية والثقافة التى ترفض العصبية

الدينية ، ويخدع المسيحيين باسم الأخوة الدينية وهو عدو الجميع ..

ويقول ادوارد عطية انه «لما زارت المدرعة الفرنسية « جول فيري » مرفأى بيروت وجونيه في أواخر عام ١٩١٢ وعزف البحارة الافرنسيون نشيد « المارسيلييز » ، أخذ الحماس بمجامع القلوب ، وانطلقت الهتافات مدوية بحياة فرنسا حامية « المسيحيين » وفي عام ١٩٠٥ ألف نجيب عازوري كتابا باسم « يقظة الأمة العربية في آسيا التركية » دعا فيه لتوحيد الكنائس الكاثوليكية العربية وحدد الدولة العربية في سوريا والعراق ولبنان ونجد واليمن والحجاز « أي أنه استبعد افريقيا العربية » . وقد قالت عنه مجلة المنار « ان دعوته لم تلق صداها في البلاد العربية ، لأن نشاطها ومقرها في باريس ولأن صاحبها كان داعية للدول الغربية فرنسا وانجلترا ، ولم يخل كتابه من تمجيد لهما فكان لذلك مجلبة للشك والشبهة » .

وظهرت في باريس دعوة لاستقلال سوريا وحدها ممن سموا أنفسهم الجمعية السورية بزعامة نخلة ورشيد مطران ..

وعندما أرسل « بوانكاره » رئيس وزراء فرنسا المدرعة « جول فيري » الى الشاطىء السوري ، وأعلن في مجلس الشيوخ الفرنسي : « لا أرى لزوما لأن أذكر مجلس الشيوخ أن لنا في لبنان وسوريا حقوقا تاريخية تقليدية ونحن نريد دائما أن تراعى منافعنا وحقوقنا .. أصوات استحسان » .

وصرح السير ادوارد غراي أمام مجلس العموم البريطاني بأن حكومته « تعترف بمصالح فرنسا في سوريه » .

وأصدرت الجمعية الفرنسية لدراسات شئون البحرية والمستعمرات في باريس في نهاية عام ١٩١٢ قرارا حذرت فيه من « المطامع المصرية في سوريا ! » وأكدت أنه في حالة زوال ارتباط سوريا بالدولة العثمانية تؤكد الحكومة الافرنسية رغبتها بعدم السماح لأي سيادة أو حماية ، عدا سيادة وحماية فرنسا ، أن تحل في هذه المنطقة محل السيادة العثمانية » .

فاجتمعت في باريس ما تسمى « باللجنة اللبنانية » وقررت باسمها واسم لجان نيويورك وسان باولو ومصر .. وجوب توجيه كتاب الى مسيو « بوانكاره » تشكره فيه على التصريحات التي أدلى بها لدى مجلس الشيوخ الأفرنسي . !

وعندما بدأ العملاء الترك يسبون العرب لاستفزازهم انبرى للرد عليهم العملاء العرب في باريس ولندن فتزداد الهوة اتساعا والجرح تقيحا ..

وعندما انعقدت « الجمعية العمومية الاصلاحية » في النادي الاصلاحي في بيروت وضعت مشروعا لادارة البلاد العربية ، واستطاع بعضهم أن يضعوا فيه بندا يطالب بخبراء ومستشارين أجانب لهم سلطات كاملة في ادارة البلاد « يتصرفون بها تصرف الحاكم بأمره ولا مثيل لذلك الا ما أصبح يتمتع به المستشارون الأجانب في أزمة الانتداب (توفيق برو) .. وينقل توفيق برو عن احمد عزه الأعظمي أن هذه النصوص لم توضع في اللائحة عبثا بل ان بعض العناصر الموالية لفرنسا في بيروت أرادت استغلال الحركة الاصلاحية لخدمة هذه الحكومة ، لكي يضمنوا للدول الأوروبية مبدأ مراقبتها لكل فروع الادارة وكي يبرهنوا أن السكان بأجمعهم لا يرون امكان الاصلاح الا بمساعدة أوربا » .

وفي المؤتمر العربي الأول بباريس استطاعت نفس العناصر ان تقرر « ليس للمؤتمر علاقة بولايات العرب غير العثمانية » اى الولايات الواقعة تحت نير الاستعمار الاوروبي !!

« وان الرابطة الدينية قد عجزت دائما عن ايجاد الوحدة السياسية » « وهم يودون اسماع مطالبهم وافهام رأيهم لاوروبا التي تزداد أهمية مصالحها في البلاد العثمانية يوما بعد يوم » « وان الذين ينكرون فضل أوربا انما هم مدفوعون الى ذلك بالأنانية العمياء » وان الذين لا سياسة لهم سيعلمون ان أوروبا ليست هي الغول ، وان الغول هو سوء الادارة وفساد السياسة » .

بعد ست سنوات كان الغول قد التهم الدول العربية كلها ..

وقد رفض المؤتمر السماح لممثل مصر بالاشتراك في المناقشات وذهب وفد المؤتمر يبلغ وزير خارجية فرنسا قرارات المؤتمر فرحب بهم وقال « ان فرنسا

تقبل بكل رضى وسرور أن تكون محامية سوريه لدى أوروبا » ٠

ولكن كما قلنا كانت فرنسا تدرك ان هذا التجمع الثورى له جذوره الحقيقية التى يمكن ان تقاوم الطفيليات السامة ، لذلك كتب وزير الخارجية الفرنسى الى قناصله يطالبهم«يجب عليكم انتتظاهروا بمساعدة الحركة الاصلاحية العربيةلكي تكسبوا قلوب الأهلين على ان تسعوا فى الخفاء للقضاء عليها »ويقول الاستاذ توفيق برو « انه كان ثمة جماعة من المتفرنسين يحاولون ان يلعبوا فى المؤتمر دورا لمصلحة فرنسا ، وان فرنسا كانت تعلق آمالا جساما عليه » ٠

الا أن تخريب العملاء ما كان ليثمر لولا المناخ السياسى الذى هياه له الترك ٠٠ وكانت الحرب الطرابلسية هى التى فتحت أعين العرب ٠٠ فقد وقف المندوبون العرب فى مجلس المبعوثان يطالبون بتحصين الولاية ضد الغزو الايطالى المنتظر حتى أبكو المجلس ! ٠٠ وكانت ايطاليا بكل وقاحة وفجور الحضارة الغربية تستعد علنا لاحتلال الولاية العربية، ورغم ذلك رفض الاتحاديون حكام تركيا تكوين فرق حرس وطنى من أهالى طرابلس حتى لاتنفصل الولاية! فى نفس الوقت الذى قرروا فيه انها لاتستحق القتال لأنها لاتفيد الخزينة ، بل خفضوا عدد قواتهم هناك من أربعين ألفا الى أربعة آلاف ، وسحبوا سلاح الأهالى قبل الاحتلال ٠٠ وسلموا الولاية للنفوذ الايطالى فكانوا يعينون الولاة ويعزلونهم طبقا لطلبات ايطاليا قبل أن تحتلها جيوشها ، وكان الصدر الأعظم مقامرا عميلا لايطاليا متزوجا ايطالية ٠٠

ومع ذلك فانهعندما بدأ الغزو الايطالى، هب العرب جميعا ومن خلفهم الوطن الاسلامى،وانهالت التبرعات من كل بلد اسلامى ، وجاء المتطوعون من كل مكان، وكانت مصر هى اكثر البلدان تحمسا واحساسا بخطر الغزو الايطالى ، واندفاعا فى مقاومته ، ولم تغرمهم حكمة الفيلسوف لطفى السيد الذى دعاهم الى الحياد بين قنابل ايطاليا وصدور الليبيين العرب !

لقد كانت اول واوضح صيحة بالثورة على تركيا او بالذات على السلطة التركية التى يمثلها حكم الاتحاديين ، فى مواجهة تبعيتها وعمالتها للغزو الغربى ٠٠ فى محاولتها تسليم الوطن العربى لأوروبا ٠٠ عندما أعلن النائب العربى خالد البرازى ممثل حماه فى مجلس المبعوثان « أيها الاخوان شاع فى المحافل بأن الصلح سيعقد ، ومع أننى واثق بالحكومة وامين من وجدان رجالها ٠٠ فلنفرض انها استحصلت على فرمان بالاعتراف بالحاق طرابلس الغرب بايطاليا ٠٠ فاننى أقول باسم « الأمة العربية» اننا نمسح هذا الفرمان بدمنا ولا نرضى بذلك ، ولو لم يبق عربى على وجه الأرض ٠٠

«أيها الاخوان ان طرابلس الغرب قد فتحها عمرو ابن العاص عام ٢٣ هـ وقد مر عليها نيف و ١٣٠٠ سنة فى يد الأمة الاسلامية فهى اذا لنا بمثابة الروح من الجسد ، وعلى ذلك أختم قولى بان طرابلس باقية وستبقى بيد الأمة العثمانية الى الأبد »

وخطابالنائب العربى يلخص ما نريد أن نقوله : « الأمة العربية » هى « الأمة الاسلامية » والتفرقة دخيلة عليها ، وهى قد ارتفعت شعاراتها فى مقاومة الغزو الاوروبى الصليبى الاستعمارى ، وليس ضد الاستعمار التركى المزعوم بحماية أوروبا كما يقول البعض ٠٠ وهى اذ اصطدمت بتركيا فبسبب عمالة حكام تركيا لاوروباوليس منافسة هؤلاء لاوروبا على استعمارنا ٠٠

وهكذا كان العرب يسعون الى انقاذ العروبة والاسلام من الاحتلال الاوروبى ٠٠ أولا بالوحدة مع الاتراك فى الجامعة الاسلامية العثمانية وأخيرا بالثورة على الترك ورفع شعار القومية العربية ٠

ولكن «الغول الاوربى» كان يدبر أهدافا أخرى ، أهدافا عمرها ألف عام ، وحقدا دفينا منذ أن ارتفع صوت بلال بالأذان فتردد من التركستان لشواطىء الأطلس ومن أسوار فينا الى أعماق القارة الافريقية٠

يتحدث لورنس الباحث الانجليزى عن اللحظة التى رفع فيها فيصل راية الثورة فيقول : « وبذلك انهارت الدولة الاسلامية التى طالما عمل على تدعيمها السلطان » ٠٠ « كنت أرى فى الشعوب العربية من القوى المستترة ما يفى بغايتنا »

وهو يؤمن بالحركة العربية « لقد كنت أومن بالحركة العربية ايمانا عميقا وكنت واثقا قبل أن أحضر الى الحجاز انها هىالفكرة التى ستمزق تركيا شذر مذر »

ويتحدث عن الوحدة العربية واعادة أمجادالعرب

فيقول « نحن نعلم أن هذا من عالم الاسلام » « بل حتى فكرة قيام حكومة عربية فى سوريا يرفضه ». وحكومة عربية فى سورية أيا كانت الدوافع العربية الكامنة وراءها ستكون مفروضة فرضا تاما كأية حكومة تركية أو حماية أجنبية » ويرى السيد لورنس أن كلمة « سورية » لا وجود لها فى اللغة العربية »

وامعانا فى اذلالنا يكتب لورنس مذكراته ويعترف بتأنيب ضميره لانه خدع العرب وغرر بهم ! .. يقول لورنس ليذل أمتنا « هذه المتاعب ما كانت لتعنى شيئا نظرا لعدم اكتراثى بما هو جسدى ، وانما هناك الخداع المرهق الذى اضطررت أن أحمل نفسى وزره وهو ادعاء قيادة ثورة وطنية لعنصر آخر مع يقينى التام بأن الوعود التى أطلقناها للعرب لن تكون لها أية قيمة » .

« كنت أستغل أثمن ما عند العرب .. حبهم للحرية كأداة من أجل نصرة انكلترا » .. «وبالرغم من أن العرب كانوا مخدوعين فقد كانوا يحاربون العدو بكل جوارحهم » « ان قصة الثورة العربية من أولها لآخرها ليست سوى قصة حياة أو موت بالنسبةللعرب ، أما نحن فقدتبنيناها حبا بأنفسنا»

فليهدأ ضميرك الدنس يا لورنس .. فانت لم تخدعنا الا بالمعنى الذى قاله معاوية رضى الله عنه « من تخادع لك حتى بلغت منه حاجتك فقد خدعته» لقدكانتالثورة العربية تتجمع حقا ولكنها اجهضت، ولم يكن أمام العرب خيار .. منهم من قامر على المانيا ، ومنهم من قامر على بريطانيا وفرنسا وخسر الجميع .

لم تخدعنا يا لورنس ، ولكن خدعنا أنفسناعندما أحسنا الظن بالحضارة الغربية .. عندما نسينا أن هذا الأمر لايصلح آخره الا بما صلح أوله .. ونحن نعاهد الله ورسوله أن لا نخدع مرة أخرى ، ولن يزيغ أبصارنا بريق يأتى من الغرب .. عدونا الألد مهما تخفى وتنكر ..

بقى سؤال .. لماذا القومية . .ولماذا الاسلام.. لماذا لا تندمج فى وحدة انسانية شاملة .. وهل توجد هذه الوحدة ؟!.. والى حديث آخر .

محمد جلال كشك

لماذا التحامل على الدين ؟

بقلم : محمد عبد الله السمان

على الرغم من ان الكل يدرك اليوم أن هذا البلد لن يفرط فى دينه ، ولن يخذله او يسلمه ، الا انه لم تزل هناك خفافيش دفعتها الحماقة الى أن تخرج فى وضح النهار محاولة مناوشة الدين والاحتكاك به ، بشتى الاساليب الواضحة والملتوية على السواء .

ولو كان امر الاحتكاك قاصرا على مجرد اللغو فى الندوات الخاصة والمجالس المحدوده ، لهان الأمر ، ولكنه حين تتخذ الصحافة - وهى ملك هذا الشعب الذى يعتدى على اقدس مقدساته - وسيلة الى هذا الاحتكاك فلن يهون الأمر .

وليت هذه الصحافة تزن بميزان واحد ، وتكيل بكيل واحد ، فكما تسمح بنشر الترهات التى تنال من الدين ، تسمح ايضا للقادرين بالرد عليها لدحضها ، ولكنها لا تعمل شيئا من هذا .

فهذه الكاتبة التى تسرح وتمرح فى مجلة اسبوعية كبرى تدخل كل بيت ، تنفس احقادها على الدين فى معظم ما تكتب ، ثم تفرض سياجا من الحصانة حول ماتكتب ، ولا تسمح لانسان - كائنا من كان - ان يناقشها فيما كتبت .

كتبت مثلا تندد بقانون الاحوال الشخصية التى - على حد تعبيرها - وضعت فى عهود الجهالة والتاخر ، والتى استمدت سلطاتها من تفسيرات دينية ، وضعها اربعة من الأئمة ، آخرهم مات منذ الف سنة - أى فى العصور الوسطى ، ولم يكن هؤلاء الأئمة رسلا ولا ملائكة ولا قديسين .

ثم اخذت تستعدى السلطات قائلة : فهل ترضى حياتنا الجديدة القائمة على العدالة المطلقة ان يستمر هذا الحال ؟ كيف ننتظر أن نصنع شيئا سليما ، ولدينا التشريعات الظالمة تهدم كل خير يتحقق فى بلادنا ؟

ونفس الكاتبة - الحاكمة بأمرها - لم تتورع ان تهاجم فى تهكم وسخرية رئيس لجنة الاحوال الشخصية ، وهو عالم جليل ، وفقيه كبير ، ووزير سابق ، وممن يحظون بثقة المسئولين وتقديرهم ، والواقع انها لم تهاجمه فى شخصه ، وانما هاجمت التشريع الاسلامى وتهكمت عليه ، ورمته بالجمود والتاخر وعرقلة الاصلاح .

ومنذ ايام معدودة ، نشرت احدى الصحفيات ، على صفحات المجلة نفسها حديثا أجرته مع الامام الاكبر شيخ الازهر ، وكان تعليقها مزيجا من التهكم والسخريه ، حتى ذكرت انها بعد هذا الحديث من مسئول كبير فقدت الأمل فى أى اصلاح لقوانين الاحوال الشخصية .

وكانى بهذه الصحفية لا ترغب الا فى دين يتمشى مع الاهواء ، ويرضى الرغبات ، ويهدم نفسه بنفسه ، والا فهو دين رجعى لا يساير الحياة ، ولا يشجع تطوراتها .

وفى جريدة يومية كبرى كتب أحد مندوبيها تحت عنوان : « يؤسفنى أن اصدر هذا الحكم .. الزوجة تتحمل مصاريف علاجها » قال :

« قدمت الزوجة فواتير المستشفى التى امضت بها فترة العلاج للمحكمة ، قالت للقاضى : انها دفعت ٤٠٠ جنيه على علاجها، وان زوجها رفض أن يساهم بمليم واحد فى مصاريف العلاج . وبعد أن استمعت المحكمة لمأساة الزوجة قالت :

« انها تأسف وهى تساير نص الشرع والقانون ، ولا تلزم الزوج بمصاريف الدواء والاطباء ، ان على الزوج مصاريف الزينة فقط ، وطالبت المحكمة لجنة مراجعة قوانين الاحوال الشخصية بتغيير هذا النص الذى ينافى الانسانية »

ان مثل هذا الكلام ينشر فى الصحف ، موهما القارىء ان فى التشريع الاسلامى مايناق الانسانية ، ولسنا ندرى - على وجه الدقة - اذا كان المندوب الصحفى قد نقل الفاظ المحكمة بامانة ، أم ان هذه الالفاظ من نسج خياله ؟ والعجيب أن بقية ما نشر حول القصة يسجل أن المراة ثرية ولها أموال خاصة ، وعلى ذلك فأى منافاة للانسانية ان تنفق الزوجة على علاجها من أموالها ، ولا فرق بين مالها ومال زوجها ، مادام الزواج قبل كل شىء مودة ورحمة كما ذكرت المحكمة فى نهاية حكمها ؟

على أنه من العجيب حقا الا يكون هناك نص فى الشريعة الاسلامية يعفى الزوج من نفقات علاج زوجته ، ولا سيما أن على الزوج نفقات الزينة لزوجته ، وقد تتبعت كثيرا من كتب الفقه الاسلامى ، فلم أعثر الا على آراء بعض الفقهاء ، التى لا تعتمد على نص من كتاب الله أو سنة رسوله .

ففى الجزء السابع من المغنى لابن قدامة ، ذكر ان نفقة الزوجة واجبة بالكتاب والسنة والاجماع ، واشار الى كلام الخرقى : « وعلى الزوج نفقة زوجته مالا غناء بها عنه وكسوتها » وبالطبع لا يمكن ان يستثنى العلاج والدواء للزوجة ، ثم يشير ابن قدامة الى أن على الزوج ما تحتاج اليه المراة من المشط والدهن لراسها والسدر او نحوه مما تغسل به رأسها ، وما يعود بنظافتها ، لان ذلك يراد للتنظيف ، فكان عليه كما أن على المستأجر كنس الدار وتنظيفها ، ثم قال - وللأسف - ولا يجب عليه شراء الادوية ولا أجرة الطبيب لانه يراد لاصلاح الجسم ، فلا يلزمه كما يلزم المستاجر بناء مايقع من الدار وحفظ اصولها .. »

وهذا كلام مضطرب غاية الاضطراب ، والمقارنة هنا سقيمة غاية السقم ، ولا تحتاج الى كثير تعقيب ، فاذا كان على الزوج نفقة الزينة لزوجته فهلا يكون من الاحق نفقة ما يحفظ لها صحتها وسلامة جسدها ؟

هذا وقد عاب ابن حزم على ابى يوسف القاضى صاحب ابى حنيفة ، الذى قال : فى المراة البالغة المريضة التى لم يدخل بها زوجها ؛ انه لانفقة لها عليه ، اذا كان مرضها يمنع من وطئها ، فان مرضت عنده بعد أن دخل بها صحيحة فعليه نفقتها ، وعقب ابن حزم بقوله : وهذه متناقضات طريفة فى السخافة جدا .. !

فابن حزم يرى : أن ينفق الرجل على امرأته من حين يعقد نكاحها ، دعى الى البناء او لم يدع ، ولو انها فى المهد ناشزا كانت او غير ناشز ، غنية كانت او فقيرة ، ذات أب كانت أو يتيمة ، بكرا اوثيبا » .

وقد نقل الشيخ سيد سابق فى كتابه « فقه السنة » فى الجزء السابع ، عن صاحب الروضة الندية ، أن النفقة تشمل سائر الاشياء التى صارت مالوفة بالاستمرار عليها ، بحيث يحصل الضرر بمفارقتها او التضجر ، او التكدر ، وتدخل فيه الادوية وغيرها .

وبعد - فان هناك قواعد مقررة فى التشريع الاسلامى مصدرها الكتاب والسنة الصحيحة ، وهذه القواعد تحفظ للزوجة كافة حقوقها وتعترف لها بآدميتها كاملة ، ومدار هذه القواعد هو العدل وحده : « لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا »

وحسبنا أن رسول الله أوصى بالنساء خيرا فى اكبر مؤتمر عام شهده المسلمون ، وفى لحظاته الاخيرة وهو يجود بنفسه ، ثم لا يرحم التشريع الاسلامى بعد ذلك أناس طبعوا على الكيد له ، وعلى صفحات الصحف التى يملكها الشعب ، ثم لا تسمح هذه الصحف حتى بالرد على الغمز واللمز بدون ذرة من حياء او خجل . !!

« محمد عبد الله السمان »

عراقيات

منادي الضياء

للشاعر : محمود حسن اسماعيل

استوحى الشاعر هذه الأبيات من لحظات خاطفة فى زيارته لمدينة النجف الأشرف بالعراق يوم الثلاثاء ٢٣ فبراير ١٩٦٥ وقد شاهد فيها ضريح الامام على رضى الله عنه ، وأنشدها فى مهرجان الشعر الذى أقيم عصر ذلك اليوم بمدينة الكوفة الخالدة

ونادى منـــاد للضـــياء ، فكبرت ... جفوني ، وصلت للنــداء خواطرى
وذوبت قلبى في رحيق من الســـنا ... وعطـرت من فجر الخـلود قيثارى
واحــرقت فى اوتارها كل مازكت ... به لصـــلاة الروح ، نار المبــاخر
تسابيح من صلى ، واشواق من دعا ... ورفــرق فى كفيــه دمـع السرائر
غرفت عبير الطهر ، من كل ســاجد ... ومــن كل اواب ، ومن كل ذاكــر
ومن كل طـير ، مر بالخـلد نايه ... واصغى لهمس الحـور بين المخاضر
ومن كل فجــر ، كلم الله قلبــه ... بآيات نور من يد الله غامر
ومن كل نبر للصـــدى ، من مرتل ... بمصحفه رنت صلاة المشاعر
ومن صلوات للنخيـل ، رايتهـا ... ترنم للأضــواء قـدس الشعـائر
تهلل بالاصـفاء ، تائبـة الضحى ... كمستغفر الله ، ســـاجى النواظر
وفي وجههـا صـوفية .. لو تكلمت ... لكانت حـديث الطهر في كل خــاطر
حشــدت عبير المتقين ، وطهــرهم ... واشـعلته زاد الضحى بمجــامرى
وبـدلت نـايى ، من رباب مــرنم ... لأنغـام نور ، خاشعات المزاهــر..
لاشــدو بارض كرم الله وجههـا ... بوجه على تاريخهـــا النفر عاطر
بسيف ، براه الله عدلا ، وحكمة ... وشــق به الاسلام قلب الدياجــر
وشعت خطـا الدنيا ، بنور محمد ... ومن نــوره هــلت جميع المنائر !!
فيا ((كوفة)) الأمجاد ، حييتك وحدة ... على فجــرها التفت جميع الأواصر
وعادت اليه الشمس ، يسطع نورها ... كما كان ، في ماضى العصور الزواهر
خطا « عارف » شدت خطاها ونورت ... دروب ليـــاليها بعزمـــة ((ناصر))

حمامة!!

للشاعر: عفيفي محمود

دخل الشاعر المغترب أحد متاجر فيينا ليشتري لحما ... وكان بينه وبين البائعة الحسناء - بطلة هذه القصيدة - موقف وحوار!!



كما يطوف الحلم بالمقله   تطوف بالحانوت كالنحله !
قد شمرت نصفي ذراعيها   وكحلت بالبشر عينيها !
كأنها في المعطف الناصع   وفى الجبين المشرق الساطع
حمامة بيضاء ... جذلانه   أو شمعة بالنور سكرانه !
قلت لها : ما أنت يا زهره ؟   فغمغمت باللحظ والنبره :
« كما ترى ... أقطع اللحما   وأفصل الأحشاء والعظما ! »
لكنني .. كذبت عينيا   فيها ... وما صدقت أذنيا !..

* * *

حورية ... تعمل قصابه ؟ !   هل أغفل الفردوس أبوابه ؟ !
لو كان لى فى شأنها أمر   لما جفا أصيصه الزهر !
وألبست من عطرها حله   وباعت الأزهار فى سله
وألقت السكين لو تنصف   وكان يكفى لحظها المرهف !!
ولم أفق إلا على كف   تمتد لى .. كحزمة اطيف
وبهرت بالنور عينيه   أنامل .. ملساء .. وردية
بالصبغة الحمراء مطليه   بل من دم العشاق مرويه
وناولتنى « لفة اللحم »   وصوبت لى نظرة تصمى
قلت : « ألا ألقاك يا حلوه ؟   نزجى لمحراب الهوى غنوه ؟؟

* * *

وأدركت ما جال فى ظنى   من نظرة المبهور فى عينى
فهزت الرأس الذى يحمل   تاجا من اللؤلؤ والمخمل
قلت لها : « مالى من مأرب   فى غير أن نأكل أو نشرب
ما بعت لى أشهى من الشهد   فكيف لى أهنأ به وحدى؟! »
تجلجلت تطرب الأنيه   رنات أجراس سماويه ..
وقهقهت أجمل حوريه :   « يا صاحبى .. إنى نباتيه !! »

حبل الغسيل..

(٤)

كوميديا في ثلاثة فصول

بقلم: علي احمد باكثير

الفصل الأول

ملخص مانشر

ابو الديوك مدير مسرح النهضة وبلعوم مديرالجمعية الاستهلاكية حاولا بكل وسيلة طرد ابي حنفي المكوجي من مسكنه في الربع ومن الحوش الذى يتخذهابو حنفي منشرا لغسيله ليتخذاه حديقة لهما ولكن ابا حنفي دافع بثبات عن مورد رزقه الوحيد وتعطفعليه محسنة زوجة ابي الديوك التى تنكر على زوجها اندماجه في شلة ذات نشاط في رايها غير مشروع.وتقام حفلة في بيت ابي الديوك حضرها بعض اعضاء الشلة فيدور الحديث بينهم عن الهدف الذى ينبغي عليهم ان يسعوا لتحقيقه وهو القضاء على العربية والعروبة والرجوع الى النعرات الاقليمية ونعلم منجم الدين انه تزوج امراته الانجليزية ليليان لانها كانت متخصصة في الفيلولوجيا فوجهها لتقوم بعمل بحث تثبت به ان اللغة العربية متخلفة لا تصلح لامة ناهضة ونعرف كذلك ان نجم الدين لم يكن في الأصلمن الشلة ولكنه انضم اليها ليوجهها الى الاتجاه الشعوبى كما ان الشلة تستخدمه لتحقيق مقاصدهاالمختلفة .

ويدور النقاش حول المسرح فنعلم انهم لايقبلونالمسرحيات الا من الكتاب الذين من شلتهم وانه يكفى لقبول المسرحية عندهم ان يكون صاحبها من الديوكاى من شلتهم فهذا بلعوم مدير التموين يصبح من المؤلفين واثار غضب المؤلف زيد واحتج على هذاالوضع فاتهمه ابو الديوك بانه ليس خيرا من بلعوم ودارت بين زيد وبين عمرو الناقد معركة كلامية حامية اذ ادعى عمرو انه هو الذى خلق زيدا واتهم زيد عمرا بالتملق والنفاق .

زيــــد : هذه مشكلة

صلصل : على الأستاذ أبى الديوك ان يحل هذه المشكلة

ابو الديوك : المشكلة محلولة

زيــــد : كيف ؟

ابو الديوك : كيف ؟ الا تعرف يا أستاذ زيد كيف ؟؟ نحولها الى لجنة أخرى من لجان القراءة كما فعلنا فى مسرحيتك فى السنة الماضية !

نجــــم : عظيم عظيم يا أستاذ أبا الديوك

ابو الديوك : لقد أعددنا العدة لكل شيء فانشأنا لجانا متعددة للقراءة ليتسنى لنا أن نقبل ونرفض كما نريد. اطمئنوا يا جماعة . انا ابو الديوك والأجر على الله !

صلصل : لله درك يا أبا الديوك ! أنت حقــا حــلال المشكلات !

ابو الديوك : لكن المشكلة التى لم أجد لها حلا حتى الآن هى أننا لم نجد مخرجا واحدا يرضى أن يخرج هذه المسرحية وأن الممثلين رفضوا جميعا أن يمثلوا فيها .

ســعدية : ما هــذا الكلام الفارغ . يجب أن نكرههم على تمثيلها بالقوة !

ابو الديوك : كلا يا ستى لا أستطيع

ســعدية : لماذا ؟ أليسوا موظفين عندك ؟

نجــــم : ان التمثيل لا يكون بالاكراه يامدام

صلصل : علينا أن نجد المخرج أولا فاذا وجدناه فــربما استطاع ان يقنع الممثلين بالتعاون معه

(تتجه العيون ناحية ميرغني الذي كان يتحدث مع محسنة فى ناحية)

ميرغني : كلا . لا تنظــروا الى . أنى قرأت المسرحية ويستحيل ان أخرجها .

صلصل : الواقع يا أستاذ ميرغني انها ليس لها غيرك . انت أستاذ المخرجين .

بلعـــوم : ارجوك يا أستاذ ميرغني اعمل المعروف من أجل

ميرغني : لا تؤاخذنى يا أستاذ بلعوم أنت تعرف مكانتك عندى لكن هذه المسرحية لا يمكن ان أخــرجها أبدا .

بلعـــوم : لم يا أستاذ ميرغني ؟ حرام عليك !

ســعدية : الا تحب يا أستاذ الفراخ الأمريكاني ؟

ميرغني : (فى شيء من الغضب) لا يا مدام لا أحب الا الفراخ البلدى

ســعدية : موجودة يا أستاذ سنبعث لك البلدى كما تريد

ميرغني : (غاضبا) اسمعي يا مدام لقد كدت أميل الى القبول ولكن كلامك هـذا قد جعلني أصر على الرفض . اني لست من اهل ذلك

سـعدية : يا ويل .. أغضبت من كلامي ؟

بلعـوم : اسكتي انت يا سعدية . ان الاستاذ ميرغني رجل حساس ذو شهامة وكرم وسيقبل رجاءنا والتماسنا ان شاء الله من غير شيء ، أليس كذلك يا أستاذ ميرغني ؟

(يسكت ميرغني كأنه يفكر في الامر)

ابو الديوك : هيه ماذا قلت يا أستاذ ميرغني ؟

ميرغني : انها سوف تسقط ياجماعة

ابو الديوك : سوف تسقط اذا أخرجها غيرك . انت الوحيد الذي تستطيع أن تنجحها !

ميرغني : يمكنني ان اقبل ولكن بشرط

الجميع : (بصوت واحد) الحمد لله

ميرغني : قلت لكم بشرط

ابو الديوك : ما هو ؟

ميرغني : اني غير مسئول اذا سقطت

ابو الديوك : على شرط أن تبذل جهدك كله

ميرغني : ان كنتم تشكون في ذمتي وأمانتي ....

ابو الديوك : كلا كلا نحن واثقون تمام الثقة

ميرغني : أنا غير مسئول عن النتيجة

ابو الديوك : لا بأس .. اخرجها وانت غير مسئول عن النتيجة

ميرغني : فيم هذا الاخراج ؟ اعفوني يا ناس . اعطوني مسرحية أخرى لأخرجها لكم

ابو الديوك : ماذا جرى يا أستاذ ميرغني ؟ أتريد أن ترجع في كلامك ؟

محسـنة : الاستاذ ميرغني في نفسه شيء منك يا محترم

ابو الديوك : مني أنا ؟ ماذا صنعت ؟

محسـنة : من أجل تلميذه حنفي ، انه يهمه امره

ابو الديوك : وأنا أيضا يهمني أمره .. ولذلك عينته عندنا في المسرح

ميرغني : وما فائدة تعيينه اذا لم يعط له دور واحد حتى الآن منذ تسعة أشهر ؟

ابو الديوك : ثق بالله . سيعطى لحنفي دور اكراما لك

ميرغني : متى ؟

ابو الديوك : من اليوم في نفس المسرحية

ميرغني : كلا أعطوه دورا في مسرحية أخرى . لا يصح أن تعطلوه تسعة أشهر ثم تذبحوه

سـعدية : ما هذا يا أستاذ ميرغني ؟ أتجعل التمثيل في مسرحية زوجي كالذبح ؟

ميرغني : أجل يا مدام بالنسبة لممثل مبتدىء مثل حنفي

صلصل : لا حق لك يا أستاذ ميرغني . انك بهذا تقف في طريق حنفي ولا أدري كيف يقولون انك تحبه ؟

ابو الديوك : أنا ذاهب لأجيء بحنفي الآن (ينزل من درج البرندة الى الحوش ثم يتوجه نحو باب البدروم ويختفي هنيهة)

ميرغني : (بصوت خافض) لا حول ولا قوة الا بالله . ماذا أصنع يا ست ام عصام ؟

محسـنة : ما كان ينبغي أن تقبل اخراج المسرحية

ميرغني : كانوا جميعا يترجونني فلم أستطع أن أردهم . لكن حنفي المسكين ما ذنبه ؟

محسـنة : ها هو ذا زوجي قد اقبل به !

(يظهر أبو الديوك ومعه حنفي ويصعدان الى البرندة)

ابو الديوك : هذا حنفي قد كلمته وقبل الدور

ميرغني : او قد صرت توزع الأدوار أيضـا يا أستاذ أبا الديوك ؟

ابو الديوك : كلا يا أستاذ المخرجين . أنا أردت أن أقول انه قبل أن يمثل في المسرحية

ميرغني : صحيح يا حنفي ؟

حنـفي : ما دمت أنت ستخرجها يا استاذي

ميرغني : كلا لا شأن لك بي

سـعدية : ماهذا يا أستاذ ؟ أتريد أن تكرهها اليه ؟

ميرغني : قرأتها قبلا يا حنفي ؟

حنـفي : نعم .

ميرغني : وأعجبتك ؟

حنـفي : كالمسرحيات التي كنا نؤلفها ونمثلها ونحن طلبة

ميرغني : فكيف اذن قبلت ؟

حنـفي : ماذا أصنع ؟ هذه فرصتي الوحيدة

ميرغني : ألا تعلم ان فيها خطرا على مستقبلك ؟

حنـفي : أنا يا سيدي كالمريض الذي يقبل أن يفتحوا بطنه أو يثقبوا جمجمته !

ميرغني : هذا المريض له أمل في الشفاء

حنـفي : وأنا لي أمل في النجاح

ميرغني : في هذه المسرحية ؟

حنـفي : انهم سيعطونني أدوارا أخرى بعد ذلك

ميرغني : صحيح يا أستاذ أبا الديوك ؟

ابو الديوك : طبعا طبعا ستتوالى عليه الأدوار بعد ذلك .. هيا اذهب الآن يا حنفي فأتنا بوالدك . فهمه جيدا يا حنفي .

حنـفي : حاضر (ينطلق الى البدروم)

بلعـوم : لماذا أرسلت الى أبي حنفي ؟ ماذا تريد منه ؟

ابو الديوك : هذه فرصة ذهبية لنحل فيها المشكل

نجـم : أي مشكل ؟

صلصل : لديك مشكلات اخرى بعد ؟

ابو الديوك : مشكلة المشكلات يا جماعة . مشكلة هذا الرجل

نجـم : منذ متى ؟

ابو الديوك : أبا حنفي

الجماعة : ما تقصد مشكلة الربع ؟

ابو الديوك : نعم نشتهي ان نجعل هذا الحوش حديقة نقعد فيها واياكم في امسيات الصيف

بلعـــوم : مخه ناشف ٠٠ لا يمكن أن يرضى ابدا

ابو الديوك : ساعدوني يا جماعة أرجوكم ٠ كل منكم يبذل كل ما في وسعه ويترجاه

صلصل : تذكروا يا جماعة ٠ هذا أبو حنفي رفيقنا القديم الكم تعرفون طباعه فلنلاينه ولنستدرجه بالحسنى الى ما نريد ، هذه هي الطريقة الوحيدة التي نستطيع بها ان نكسبه ٠

ابو الديوك : ها هو ذا قد جاء

(يدخل أبو حنفي وحنفي)

صلصل : أهلا أهلا أبا حنفي (يأخذه بالحضن)

ابو حنفي : أهلا بك يا أستاذ صلصل ٠

صلصل : (لا يكاد يرسل أبا حنفي حتى يأخذه بالحضن مرة ثانية) مرحبا يا سيدنا الاسطى ، عاش من شافك !

ابو حنفي : متشكر يا أستاذ صلصل

(يتكرر هذا الفعل من صلصل
ومن أبي حنفي بالتالي)

نجـــم : يا أخي حسبك ! الى متى تكتم انفاسه بتحياتك وابتساماتك هذه العريضة كأنها آذان الفيلة ؟

صلصل : (حانقا) أليس ذلك خيرا من تكشيرتك التي تشبه تكشيرة القرد ؟

نجـــم : دعنا نحيي أبا حنفي نحن أيضا (يأخذه بالحضن) كيف حالك يا أبا حنفي ؟ اتذكرني يا ترى ؟

ابو حنفي : نعم أذكرك جيدا ولكن اسمك ٠٠ اسمك ٠٠ اعوذ بالله من الشيطان الرجيم – على طرف لساني ولكن ٠٠٠

نجـــم : اسمي نجم

ابو حنفي : نجـــم الدين ! الآن تذكرت

نجـــم : لا ، نجم فقط ! اسمي نجم

ابو حنفي : (يحار قليلا) يجوز يا سيدي ٠ انك كنت قليل التردد علينا ٠٠ جئتنا ثلاث أو أربع مرات ثم اختفيت ٠

نجـــم : انى سافرت الى أوروبا حيث حصلت على درجة دكتور

ابو حنفي : مبارك يا دكتور ٠٠ ألف مبروك !

نجـــم : لا داعي يا أبا حنفي

ابو حنفي : لا بد أن نبارك لك ! هذه دكتوراه

نجم : قد حصلت عليها من سنتين

ابو حنفي : لا شأن لي ٠٠ ما رأيتك الا اليوم

ابو الديوك : والاستاذ نادر أتذكره يا أبا حنفي ؟

ابو حنفي : طبعا الاستاذ محبوب نادر ! والاستاذ زيد والاستاذ عمرو

زيـــد : (يأخذه بالحضن) كيف حالك يا أبا حنفي ؟

ابو حنفي : سلامات يا أستاذ زيد

عمـــرو : (يأخذه بالحضن) سلامات يا أبا حنفي

ابو حنفي : سلامات يا أستاذ عمرو ٠٠ الله يسلمك

عمرو : (يأخذه بالحضن) كيف أنت يا أبا حنفي ٠٠ كيف حالك ؟

ابو حنفي : الحمد لله ٠ حال كما ترى ٠ لقد أصبحتم جميعا بين دكاترة ومديرين ومؤلفين ٠٠

حنـــفي : ونقاد يا أبه

ابو حنفي : ونقاد

حنـــفي : ومخرجين

ابو حنفي : ومخرجين ٠٠ بالاختصار صرتم أصحاب مراكز ومقامات عالية وأنا حيث كنت ٠ الحمد لله

ســعدية : محسنة هانم الا تحضرين شيئا من الاكل للعم أبي حنفي ؟

محسنة : أظن انه لا داعي لذلك

ســعدية : لا داعي لذلك ! يجب أن يذوق من طعام الحفلة٠ سأحضر له أنا بنفسي (تخرج)

حنـــفي : (يشير الى ميرغني) الأستاذ ميرغني يا أبه ٠٠ أستاذي في المعهد

ميرغني : أهلا وسهلا يا أبا حنفي

ابو حنفي : اهلا بك يا أستاذ ميرغني ٠ ابني حنفي طالما شكر فيك ٠

ســعدية : (تعود بطبق) خذ يا أبا حنفي كل

ابو حنفي : شكرا يا ست أم زينات ٠ لقد سبقت

ســعدية : لا بد أن تذوق من طعام الحفلة

ابو حنفي : قد ذقت منه يا ست هانم

ســعدية : أين ؟

ابو حنفي : في البيت ٠ الست أم عصام جزاها الله خيرا بعثت لنا نصيبنا منه ٠

ســعدية : (تتمتم ساخطة) معلوم ٠ الحفلة في بيتها !

بلعـــوم : بيتك وبيتها واحد ٠٠ خذ منها يا أبا حنفي لتروح

ابو حنفي : هاتي ياست أم زينات .. من يد لا تعدمها (يأخذ منها الطبق)

نادر : والست أم حنفي كيف حالها ؟

ابو حنفي : سالت عنك العافية .. هي بخير

ابو الديوك : كانوا جميعا يسألون عنك وعن الست أم حنفي

ابو حنفي : سالت عنهم العافية

بلعوم : أي والله ما استطاعوا أن ينسوك يا أبا حنفي أو ينسوا أفضالك

ابو حنفي : أي أفضال ؟ استغفر الله

نادر : منذا يستطيع أن ينسى كيف كان البوليس السياسي يبحث عنا

بلعوم : وكيف كنت تخبئنا في البدروم عندك

صلصل : وكيف كنت تنفق على أهلنا وأولادنا ونحن في السجن ؟

ابو حنفي : أرجوكم يا صحاب لا تخجلوني بكلامكم هذا . ان الناس بعضهم لبعض وأنا ما قمت الا ببعض الواجب .

نهاوند : ما شاء الله .. أكان أبو حنفي معكم ؟

ابو الديوك : نعم كان معنا (يلتفت الى أبي حنفي) الاستاذ نهاوند شاعر العراق

ابو حنفي : تشرفنا يا أستاذ

نهاوند : بك الشرف يا أبا حنفي .. ما شاء الله .. اذن كنت معهم في الحركة ؟

ابو حنفي : في الحركة ؟ لا يا أستاذ . حد الله بيني وبين الحركة . أنا طول عمري رجل مؤمن موحد .

صلصل : (لنهاوند) كان أبو حنفي يعاوننا ويساعدنا في الله ولله

نهاوند : طيب مليح . حياك الله يا أبا حنفي

ابو حنفي : متشكر يا أستاذ سيكا !

ابو الديوك : سيكا ! كذا يا أبا حنفي تغلط في اسم الاستاذ؟

ابو حنفي : وما اسمه اذن ؟

الجميع : نهاوند . نهاوند .

ابو حنفي : لا تؤاخذوني يا جماعة . على قدر حالي .. من أين لي أن افهم في الموسيقى ؟

(يضحك الجميع ثم يكفون ما عدا صلصل فقد استمر يقهقه)

صلصل : (ماضيا في القهقهة) سيكا قال !

ابو حنفي : اعذروني. غلطة مني.. أنا رجل جاهل لا أعرف في الموسيقى شيئا

صلصل : (تعلو قهقهته) انت جاهل ؟ انت لا تعرف الموسيقى ؟ يا نمس ! انك حافظ المقامات الموسيقية كلها ! ينبغي أن يعينوك مدرسا في المعهد الموسيقي أو الكونسرفاتوار !

نجم : (غاضبا) وبعد يا جماعة ؟ أنا أحتج !

صلصل : تحتج على ماذا يادكتور ؟

نجم : ضيفنا وضيف بلدنا كيف تضحك عليه ؟

صلصل : يا لك من رجل عكر . أتريد أن نقطب في وجهه ؟ لم لا نضحك معه ؟ نحن في بساط أحمدي . هل زعلت حقا يا أستاذ نهاوند ؟

نهاوند : لا ماكو زعل

صلصل : سامح يادكتور ؟

ابو حنفي : أنا آسف .. أنا الذي كنت السبب . اسمحوا لي اذن ... (يهم بالخروج)

بلعوم : أنتظر حتى نتفق أولا

ابو حنفي : نتفق على ماذا ؟

ابو الديوك : لا تتجاهل يا رجل انك تعلم ما نريد (يقبل رأسه) حقك علي ان كنت أغضبتك او أسأت اليك. نحن أسرة واحدة يا أبا الأحناف

ابو حنفي : اني لا أفهم شيئا

صلصل : أبعد كل هذه الأفضال التي لك علينا يا أبا حنفي وبعد هذه العشرة الطويلة والصداقة المتينة تبخل على أصحابك بحاجة بسيطة كهذه ؟

ابو حنفي : هذه ليست بسيطة يا ناس !

بلعوم : اننا سنتوسط لك في المساكن الشعبية .

ابو حنفي : هذه المساكن الشعبية لا تنفعني .

صلصل : هذا تعنت منك . الناس كلها تتمنى المساكن الشعبية

ابو حنفي : هل فيها حوش كهذا ؟

صلصل : انك لن تحتاج الى الحوش بعد ذلك ان شاء الله . سيكون ابنك حنفي ممثلا كبيرا سيصير نجما من نجوم السينما والمسرح

الجميع : أجل يا أبا حنفي . نحن جميعا نضم أصواتنا الى صوت الاستاذ صلصل

ابو حنفي : كلكم ضدي ؟

صلصل : بل كلنا معك يا أبا حنفي وفي صفك . من منا لا يتمنى الخير لحنفي ولأبي حنفي ! من منا لايتمنى أن يرى حنفي ممثلا عظيما يتردد اسمه كالطبل ؟ من منا لا يتمنى أن يرى حبيبنا أبي حنفي وقد تاب ربنا عليه من هذه المهنة الشاقة وأصبح يعيش عيشة مرفهة في كبره ؟

حنفي : (متوسلا) نعم يا أبه أرجوك

ابو حنفي : ومتى تريدون منا أن نخلي الربع ؟ أليس بعد أن نجد لنا مكانا مناسبا ؟

صلصل : طبعا طبعا ونحن جميعا سنساعدك في البحث عنه

ابو الديوك : وسنستخدم نفوذنا في الدوائر الخاصة بالاسكان

ميرغني : لن تنتقل من هنا الا بعد أن نرى اسم حنفي يلمع في كل مكان

حنفي : سمعت يا أبي ماذا يقول الاستاذ ميرغني ؟

ابو الديوك : المسرحية يا أستاذ صلصل (يناوله نسخة المسرحية)

صلصل : ها هي ذي المسرحية . سأسلمها لابنك حنفي أول ما تقول انك وافقت

ابو حنفي : وافقت وأمري الى الله

الجميع : (بصوت واحد) مبارك ! مبارك !

ابو حنفي : هات يا أستاذ صلصل !

صلصل : (يناوله المسرحية) خذ !

ستار الفصل الاول

علي أحمد باكثير

تشيخوف في الأدب العربي

تأليف : كراتشكوفسكي
ترجمة : محمد منير مرسي

بدأ العرب يتعرفون بتشيخوف وهو ما يزال حيا وكان ذلك فى نفس الوقت الذى بدءوا فيه يترجمون المؤلفات الروسية الكلاسيكية • ففى نهاية القرن التاسع عشر فى سوريا وفلسطين تكونت مجموعة من المترجمين عن الروسية مباشرة • وتنتمى هذه المجموعة في دراستها وتعليمها الى مدارس الجمعية الفلسطينية وبصفة خاصة مدرسة الناصرة التى أسست سنة ١٨٨٦ ومدرسة أخرى أسست سنة ١٨٩٠ فى بيت جال قرب بيت لحم • فكانت اللغة الروسية مادة أساسية في كل مدارس هذه الجمعية • ولعل تصور الأدب الروسى المعاصر والتعريف به لم يأت نتيجة للبرنامج المدرسى بقدر ما كان نتيجة للمعلمين الروس الذين كانوا هناك ، بل ان كثيرا من خريجى هذه المدارس كانوا يواصلون تعليمهم فى روسيا •

وكان لروائع أدبنا الكلاسيكى انطباع قوى وتأثير واضح فى أعمالهم الفنية التى خلقوها • ونجد هذا بوضوح على سبيل المثال لدى أحد كبار الأدباء والنقاد العرب المعاصرين ، ونعنى به ميخائيل نعيمة (ولد سنة ١٨٨٩) : وهو ربيب لبنان ، بدأ أول تعليمه فى مدارس الجمعية الفلسطينية فى بلدته « بسكنته» ثم فى « الناصرة » • وبعد ذلك أمضى خمس سنوات (من سنة ١٩٠٦ — ١٩١١) في مدرسة «بلكافا» فى روسيا • وهناك قرأ الأدب الروسى وتعرف على أدب بوشكين وليرمانتوف وتورجنيف وجوجول وتولستوى ودستيوفسكى والمدرسة النقدية «لبلينسكى» • وقد بدأ العرب فى التعرف بتشيخوف وجوركى فى وقت واحد تقريبا • ونجد أن المعلمين والأطباء الذين تلقوا تعليمهم فى روسيا وكذلك الصحفيين من خريجى مدارس الجمعية الفلسطينية قد بدءوا عملهم كمترجمين فى مختلف المطبوعات الدورية فى فلسطين وسوريا خاصة ، وقد تجمعت هذه التراجم فى مجموعات فيما بعد • وكانت قصص تشيخوف أكثر سهولة بالنسبة لأغراض هؤلاء المترجمين ، اذ كان حجمها صغيرا يمكن نشره فى عدد واحد من المجلة أو الجريدة • على أن شهرة تشيخوف جاءت نتيجة لعامل آخر • ففى الفترة من ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠١ كانت مؤلفاته تنشر فى مجلة روسية واسعة الانتشار هى مجلة « نيفا » ، وكانت منتشرة بين القراء بالروسية فى فلسطين بنوع خاص ، وبين العرب الذين كانوا فى روسيا ، أو كانت لهم أية علاقة بها ، ومن هنا انتشرت مؤلفات تشيخوف بسرعة ، وترجمت منها مجموعة كبيرة • وفى سنة ١٩٠٥ قام بطبعها أحد معلمى الجمعية الفلسطينية فى شمال سوريا هو ابراهيم جابر الذى لم يكن فى روسيا فى يوم ما • وفى سنة ١٩١٣ قام أنطون بلان — وهو ممن تلقوا تعليمهم العالى فى روسيا — بطبع مجموعة تراجم فى سوريا وحمص • وهذه التراجم كانت حصيلة عمله مدة خمسة عشر عاما • وفيها حصل تشيخوف على مكان تال لتولستوى اذ طبعت له خمس قصص مترجمة •

وفى بداية القرن العشرين قبل الحرب العالمية الأولى توطدت مكانة تشيخوف فى هذا المجال من الأدب العربى الذى خلقه المثقفون العرب والمتطلعون الى روسيا • على انه ليس من الممكن الآن معرفة كل ما ترجم لتشيخوف طيلة هذه الفترة • ففى البلاد العربية لاتوجد هيئة تقوم بحصر كل الانتاج المطبوع، وليست هناك مكتبة اخذت على عاتقها جمع هذا الانتاج بتسلسل وانتظام •

بيد أن المادة الموجودة فى أيدينا تسمح بتشخيص ووصف ذلك الدور الكبير الذى لعبته هذه المجموعة من المترجمين • ومن المهم أن نشير قبل كل شىء الى أن هذه الترجمة قام بها أشخاص عرفوا روسيا جيدا بل زاروها أحيانا وعاشوا فيها • الا انه كان فى غير صالح هذه الترجمات من الناحية الشكلية أنها كانت تطبع عادة فى دور طبع محلية صغيرة ليس لها

انتشار واسع خارج البلاد العربية · ولم تتمكن من التأثير على الأدب العربي فى تطوره · وكانت مصر تقوم بأهم دور قيادى فى هذه الناحية ·

ومنذ العقد الثانى بعد الحرب العالمية الأولى تعرف العرب بتشيخوف لا عن طريق روسيا وانما عن طريق الغرب ، لا ككاتب روسى وانما ككاتب عالمى وقد حدث هذا في نفس الوقت الذى ساد فيه عدم الرضا عن الأساليب الادبية القائمة ، ووجدت الحاجة الى البحث عن الأساليب والأشكال الأدبية الجديدة . واذا كان الأسلوب الرئيسى لمدرسة المهجر في الفترة السابقة هو الشعر المنثور ، فان الاسلوب الذى رسمته مصر لنفسها آنذاك هو القصة وبالذات القصة المصرية ، وكانت اذ ذاك القصة الصغيرة المستقاة من واقع الحياة المحيطة . ويرجع الفضل فى تطويرها الى الأخوين « **تيمور** » وبخاصة محمود تيمور الذى يعتبر فى الوقت الحاضر شيخ المدرسة المصرية لكتاب القصة ، وهى المدرسة التى اتسع تأثيرها الى جميع البلاد العربية ·

وقد بدأ محمود تيمور نشاطه فى نهاية العقد الثانى مع أخيه محمد تيمور الذى مات قبل الأوان · وكان محمود تيمور متأثرا فى أولى خطواته الفنية بموباسان ، غير أنه سرعان ما اتجه الى القصة الروسية ، وبخاصة قصص تشيخوف · ويتحدث عن هذا لا مؤلفاته الكثيرة فحسب وانما اعترافه الذى كرره فى مؤلفاته اكثر من مرة ·

ففى سنة ١٩٣٩ عندما تحدث عن تاريخ حياته الفنى اشار بصفة خاصة الى دور تشيخوف فى هذا التاريخ ، فأشار الى أن القصة الروسية تتميز بصدقها وبساطتها كما لو كانت قطعة من نفس مؤلفها ونظرته بعرضها بدون تكلف أو صنعة · وعندما تقرأ احدى هذه القصص تحس بصفحات بسيطة من الحياة ، ولكن وراء هذه البساطة صفحات مأساة الانسان الحالى ·

ويظهر هذا كيف نما فهم الأدب العربى لتشيخوف طيلة اربعين عاما منذ ظهور أول قصصه مترجمة · وهو الآن يعتبر أستاذ الفن الرفيع حتى بالنسبة للحياة العربية التى تبدو أنها بعيدة عنه ·

وهذا الاعتراف بتشيخوف كمؤلف لا يقتصر على الأدب الحديث فحسب وانما يتعداه الى الانسانية جمعاء ·

وفى بداية سنة ١٩٤٤ احتفلت مجلة الهلال بمرور نصف قرن عليها ، وظهر عدد خاص منها بمناسبة القصة القصيرة · ومن هذا العدد تنعكس **التيارات المعاصرة** · فالى جانب مؤلفات تيمور كانت هناك قصص أحد تابعيه وكانت هناك أيضا قصتان تاريخيتان عن الحياة العربية والبيزنطية ، وثلاث قصص عن الصراع ضد الفاشيين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مقتبسة من المؤلفات الانجليزية والألمانية المعاصرة . وفى هذه التشكيلة كان من غير المتوقع ظهور ترجمة قصة « الذئب » لتشيخوف . ولا ينبغى أن نعتبر ذلك صدفة .

فالمترجم زكى طليمات هو القائد الفنى لاتحاد المسرح والموسيقى المصرى · وهو رجل ذو اسم أدبى كبير ، وقد ركز اهتمامه على تشيخوف فى مقدمة قصيرة ، وأشار الى أن المسرح المصرى عرف حتى تلك اللحظة ثلاثة مؤلفات فقط من الأدب الروسى : « يوم الاحد » و « انا كارنينا » لتولستوى و « الجريمة والعقاب » لدستوفسكى · والآن جاء دور التعرف بتشيخوف ثالث كاتب بين أعظم الكتاب الروس الذين يشغلون مكانا مرموقا فى عالم الفن المسرحى ·

ويضيف الاستاذ طليمات أنه تكفى الاشارة الى أن المؤلف تناول فيها الحقيقة القديمة عن الحقد والكراهية وهما طرفا الحالة الداخلية وبينهما يتردد القلب بلا ارادة مع الاحتفاظ بالمخرج الدقيق · وفى نفس كلا البطلين ـ على حد كلماته ـ نجد صراعا بينهما كما لو كانا شخصين . وقد استطاع تشيخوف أن يصور هذه الارادة المزدوجة قبل أن يحللها العلم ·

ومن المهم أن نشير الى مدى الجدية التى حظيت بها مؤلفات تشيخوف من جانب كبار رجال الأدب العربى المعاصر ، فقد حاولوا أن يجدوا لديه اجابة للمسائل الخاصة بأصول الفن وتحليل حركة النفس الداخلية ، بل لتوضيح بعض المسائل الفنية المعاصرة وهذه العلاقة الجدية من جانب الكتاب العرب تغفر ما فى هذه التراجم من نقص ، فهى عادة ليست على درجة كبيرة من الجودة ، وعددها مع ذلك قليل ، أما المؤلفات الضخمة لا سيما الدرامية منها فما زالت غير مترجمة ·

وبصرف النظر عن كل هذا فان الفخر يملأ قلوبنا عندما نسمع أن كبار الأدباء العرب فى هذه الأيام يعتبرون تشيخوف مثلا للأدب الذى يتجه الى الانسانية جمعاء · ونحن الى جانب هذا نشعر ايضا بأن دراستنا الاستشراقية قد دخلت في التراث العام للثقافة البشرية والانسانية .

« **محمد منير مرسى** »

أبو الحسين الجزار

٦٠٣ - ٦٧٩ هـ

بقلم: محمد جبار البنا

لفظ الحكم الأيوبى لمصر وبلاد الشام أنفاسه الاخيرة فى الوقت الذى كان فيه أبو الحسين يعيش الاشعاعات الذابلة من حياته التى تسبق الخمود الأبدى، وكان وقتئذ شاعر الفسطاط بل شاعر مصر كلها . وبانتهاء الحكم الايوبى انتهى عصر الاغداق الوافر على الشعراء والعطف عليهم مما جعل الشعراء هؤلاء يعانون من كساد بضاعتهم ونفاق أسواقهم بعد جفاف الينابيع التى كانت تفيض بالعطاء والرفد ، الامر الذى جعل الشكوى تبرز فى شعرهم وتسيطر على نتاجهم . بل أن أغلبهم بدأ يفكر فى طرق أبواب جديدة من العمل أو يرتد الى ماكان فيه مادام السوق الادبى اغلقت أبوابه أو كادت . ولعلنا لا نجانب الصواب حينما نقول أن السر فى قصور شعرهم مسامتة الحياة الاجتماعية والسياسية لتلك الفترة هو أنهم كانوا يعيشون عصر احتضار دولة (الايوبية) ومولد (المملوكية) وعصور الانتقال دائما تصحبها هزة عنيفة فى آراء المفكرين والمصلحين وتذبذب فى أحكامهم وقيمهم الاجتماعية والفكرية .

كان على شاعرنا اذن والحال هكذا أن يعود من جديد الى ساطوره ومديته ووضمه لأنه كان من أسرة عريقة فى الجزارة - كما اسلفنا - وقد قال مفاخرا براحة باله وعدم طلبه للمنصب ورضاه بعيشه وما قسم له :

أنا فى راحة من الآمال
أين من همتى بلوغ المعالى
لى عجز أراح قلبى من الهم
ومن طول فكرتى فى المحال
طاب عيشى والحمد لله اذ كنـ
ـت له حامدا على كل حال
مالباس الحرير مما أرجيـ
ـه فيرجى ولا ركوب البغال

الا انى ما احسب عجزه أراح قلبه من الهم والفكر فى طلب المعالى - كما قال - بل يبدو انه حاول الداب كله وسعى السعى كله كى يتوفر له من المجد - بعيدا عن المناصب - نصيب ومن الشهرة الادبية - بعيدا عن الرتب - قسم - فلقد حاول ترك الجزارة الى التكسب بالشعر على عادة الشعراء فى وقته - وكان ذلك بالطبع ابان العصر الايوبى وأواخره - الا انه عاد من رحلته هذه عودة الكادح الذى خاب امله والعازف الذى تحطم معزفه - مما جعله يصور لنا هذا الاخفاق وهذا اليأس فى شعره وهاك أبياته التى تنطق بالمرارة والألم مخاطبا بهما الفقيه ابن نصر :

بـك يا ابن نصر جئت أر
جو نصرة فانعم وبادر
وأجرنى من زمنى الذى
دارت على به الدوائر
أضحيت فى أمرى ولا
أشكو لغير الله حائر
واللحم يقبح أن أعود
لبيعه والشعر بائر
يا ليتنى لا كنت جزارا
ولا أصبحت شاعر

ويبدو أن الضيق المادى بلغ به حدا جعله يشقى بالادب شقاء بعيدا مما جعله يعقد موازنة بين حاله وهو جزار وبينه وهو شاعر . انظر اليه يخاطب من يسمى « شرف الدين » :

لا تلمنى ياسيدى شرف الد
ين اذا ما رأيتنى قصابا
كيف لا أشكر الجزارة ما عشـ
ـت حفاظا وأرفض الآدابا
وبها أضحت الكلاب ترجـ
ـينى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

ثم يعلل لهذه الثورة بهذه الموازنة الطريفة التى يسخر فيها من العلم والشعر وصنعة الادب :

قطعت شبيبتى واضعت عمرى
وقد أتعبت فى الهذيان فكرى
ومالى أجـرة فيـه ولالى
اذا مامت يوما بعض أجر
قرات النحو تبيانا وفهمـا
الى أن كعت فيه وضاق صدرى
فما استنبطت منه سوى محال
يحال به على زيد وعمرو
وفى علم العروض دخلت مهلا
وعمت بخفتى فى كل بحر ..
فذكرنى به التفعيل بيتـا
تضمن نصفه الشـيخ المعرى
مفاعلتن مفاعلتن فعـول
حـديث خرافة يا أم عمرو ..
وكم يوم ببيع الشعر عندى
يعد من البوار بالف شهر
ولما آن غدا لا بيع فيه
مع الميزان اشـبه يـوم حشر
ودكانى جهنـم اذ زبونى
زبانية بهـم تعذيب سر

وعلى رغم ذلك لم يهجر الشعر نفسه وان كان هجر التكسب به ومنذ ذلك الوقت ومذ أخفق فى مسعاه وخاب فى مأمله ظهرت أعراض الشكوى فى شعره تضمخ كل بيت وتكسو كل معنى حتى أنه خلط المديح والوصف بل والغزل والدعابة جميعـا بالوان من شكواه وجور الزمان عليه ... أنظر اليه يقول :

ادركونى فبى من البرد هـم
ليس ينسى وفى حشاى التهاب
البستنى الاطماع همـا فهما
جسمى عار ولى فرى وثيـاب
كلما ازرق لون جسمى من الـ
برد تخيلت أنه سـنجاب

ويقول :

اعمل فى اللحم للعشا ولا
أنال منه العشا فما ذنبى
خـلا فؤادى وفى فمى وسخ
كأننى فى جـزارتى كلبى

وله فى هذا المعنى :

اصـبحت لحاما وفى البيت لا
اعرف ما رائحة اللحم
واعتضت من فقرى ومن فاقتى
عن التلذاذ الطعم بالشـم
جهلتـه فقرا فكنت الذى
أضـله الله على عـلم

وها هو يشكو من الشتاء مر الشكوى وقد كان الشتاء دائما أقسى أعداء أبى الحسين حتى ادركته رحمة الله ، ومما قاله فيه وهو من أطرف ما قيل فى هذا الباب :

أتلقى الشتا بجلدى وغيرى
يتلقـاه بالفرا السنجابى
وأود المشاق والقطن والصـو
ف وغيرى لم يرض بالعتـابى
حسبى فى الأمطار جلدى ولبا
دى ثوبى ونعلتى قبقـابى
ونهار الشتاء أطول عندى
من نهار الصيام فى شهر آب
لو يرانى عند الغدو عدوى
لرثى لى ورق مما يرى بى
أو يرى سـائر المفاصل منى
راقصـات اذ صفقت أنيابى

ولا أدرى كيف ينتظم هذا القول مع قوله فى مطلع القصيدة :

ضحك الروض من بكاء السحاب
فاغتنم فرصة الصبا للتصـابى
واجن باكورة الزمان لشرب الر
اح فالدهر آيل للذهاب
وأدرها من عسـجد فى لجين الـ
كاس قد رصعت بدر الحباب

ثم يصور فرحته بالشمس فى نهار الشتاء أبلغ تصوير وأدقه فيقول :

لى من الشمس خلعة صفراء
لا أبالى اذا أتانى الشـتاء
ومن الزمهرير ان حدث الغيـ
م ثيابى وطيلسانى الهواء
بيتى الارض والفضاء به سو
ر مدار وسقف بيتى السـماء
لو ترانى فى الشمس والبرد قد انحـ
ـل جسمى لقلت انى هباء
لى من الليل والنهار على الطو
ل عزاء لا ينقضى ، وعنـاء

ويقول فيها بعد مواجع عدة :

أترى هل أعيش حتى يقول النـ
ـاس فيـه نزاهة واباء

يا فؤادى صبرا فمازالت الأيـ
ـــام فيهـــا السراء والضراء

ولكى تكتمل قصة الشتاء والشكوى منه فلامناص من التفاتنا الى هذين البيتين :

لبثت بيتى وقد زررت أبوابى
على حتى غسلت اليوم اثوابى
وقد أزال الشتا ماكان من حمقى
دعنى فمستوقد الحمام أولى بى

وهاهى ملامح شـــكواه تظهر فى مدحه للملك الناصر :

كيف يبقى الجزار فى عيد النـ
ـحر دهر الافلاس والعيد عيده
يتمنى لحم الاضاحى وعند النا
س منـــــه طريه وقديده
ولقد آن من لقائك أن تبيـ
ـض أيامه ويخضر عـــوده

من هذا كله ندرك أن للشكوى مكانهـــا البارز وظلالها الوارفة فى شعر الجزار ولعل هذا ما جعل أحد المؤرخين لأدب هذه الفترة يقول عنه : « أوشك أن يكون بعض شـــعره نوعا من الشحاذه » وعندى أنه لون من الوان المرارة والالم وضرب من ضروب الفاقة والعوز التى كانت ترزح تحت وطأتها الطبقة الدنيا من الشعب وقتئذ والتى كان منها شـــاعرنا على أننا لا ننكر أنه كان متلافا لاتكاد خلته تنسد وكان مسرفا على نفسه ـ سامحه الله ـ وتلك عبارة صاحب شذرات الذهب ٠

على أن الجزار رغم شكواه المرة ولوعته الدائمـــة فقد أثر عنه أنه كان يمزجها بخفة الروح وحـــلاوة الدعابة وهادىء السخرية وان كانت سخريته تتميز بالظرف والخفة واللطافة ممـا جعله يستخدم حرفته فى معانيه وتورياته ، وسنعرض لهذا بمزيد تفصيل فيما بعد انشاء الله ـ استمع اليه يقول عن صناعته:

الا قل للذى يســأ
ل عن قومى وعن اهلى
لقد تسأل عن قوم
كرام الفرع والاصـل
يريقون دم الأنعـــا
م فى حزن وفى سهل
وما زالوا لمــا يبدو
ن من ياس ومن بذل
ترجيهم بنـــو كلب
وتخشاهم بنو عجل

ويقول فى هذا المعنى أيضا :

انى لمن معشر ســـفك الدماء لهم
داب وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضىء بالدم اشراقا عراصـهم
فـــكل أيامهم أيام تشريق

ومما يدل على رقة حاله وحسن فكاهته ومرشكواه من الحياة وصفه لداره المهدمة فى الفسطاط :

ودار خراب بها قد نزلت
ولكن نزلت الى السابعـه
فلا فرق بين أنى أكون
بها أو أكون على القـارعه
تساورها هفوات النسـيم
فتصغى بلا اذن ســامعه
واخشى بها أن أقيم الصلاة
فتسجد حيطانها الراكعه
اذا ما قرأت (اذا زلزلت)
خشيت بأن تقرأ الواقعـه

ومن عجب أن يختلط الامر على أستاذنا الدكتور محمد عبد المنعم خفاجه فينسب هذه الابيات ـ رغم شهرتهاـ تارة الى نصير الدين الحمامى الشاعر المعاصر لابى الحسين والمتوفى سنة ٧١٢ هـ (كتاب قصة الادب فى مصر) الجزء الثانى ص ١٦٢ ـ ثم يعـــود ـ فى المصدر نفسه ص ١٨١ فينسبها الى صاحبها الجزار ولا نستبعد أن يكون نصير الدين الحمامى أخذ الابيات هذه ونسبها لنفسه على عادة الشعراء وتفشى السرقة الأدبية بينهم فى ذلك الحين ٠ فمن الشعراء من أغار على شعر غيره بدعوى التضمين بل ان منهم من اعترف بذلك وهذا مجير الدين بن تميم يقر هـــذا ولا ينكره حينما يقول :

أطالع كل ديـــــوان أراه
ولم ازجر عن التضمين طيرى
اضمن كل بيت فيه معنى
فشعرى نصفه من شعر غيرى

ولكن هل نحسب أن ابا الحسين استقرت نفسه ، وطابت عيشته ورضى عن عودته الى مصاحبة الساطور والوضم بعد هجره للقرطاس والقلم ؟

مانحسب ذلك ، فقد ناله من العودة الى الجزارة هم ثقيل وحزن طويل وفى هذه النكسة يقول أحد أدبائنا الظرفاء ان فى عودته هذه ـ الى حقل الادب ـ شهادة تدمغ الجزارين بأن صحائف أعمالهم كصحائف ثيابهم ومالهم لا يكونون كذلك وقد ســلطوا على الحيوان والانسان يريقون من دم هذا ويأخذون من دم ذاك »٠

عاد الى حقل الشعر عودة الحبيب الهاجر الى محبه الوامق وما هجر أبو الحسين الشعر كما أسلفنا وانما هجر التكسب به ٠

وفى عودته هذه صار يجول فى أنحاء مصر يطلب لقمة العيش: يمدح من يلمس فيه العطاء والبذل ويأنس منه المودة والكرم ٠ وعن هذا يحدثنا الرحالة ابن سعيد فيقول « وأصبح جوالا فى آفاق الديار المصرية جانيا لدانيات قطوفها وتازحا بها من كل عاص ومطيع حتى صارت له فى اقطارها عدة رسوم يجتمع له فيها مالا يحصله فى هذا العصر احد من أهل المنظوم

فهى تفرش له الآمال من جديد وتزين له الطريق تأخذ من هذا ـ على قدر ـ أن الحياة عادت رخاء معه تأخذ بيده الى دروب المطامع وها هو يذهب الى الاسكندرية ليمدح ناظرها « المحافظ » صدر الدين عبد الرحمن بن القرمسيني فيقول :

لى من جاهه واخلاقه عند هجير الخطوب ظل وماء
أيهذا الرئيس دعوة عبد أصبح الحزن دأبه والبكاء
مات فقرا وكان ذلك اذما تت من اللؤم أنفس أحياء

ثم عاد من عند محافظ الاسكندرية ليقول :

اشكر مولانا ونصيفتى تشكر أكثر من شكرى
أراحها جدواه من كل ما تشكو من دق ومن عصر
كل مرة كادت مع الماء اذ يغسلها غسالها تجرى
تموت فى الماجور لولا النشاء يبعثها فى ساعة النشر

• ولا ندرى قدر ما حباه به ابن القرمسيني (المحافظ) غير هذه النصيفه (الكسوه) التى ذكرها وفى تلك الابيات رقة وحلاوة وخيال بديع انظر الى خفة الروح المصرى فى قوله :

كل مرة كادت مع الماء اذ يغسلها غسالها تجرى

والى جمال التورية فى قوله :

تموت فى الماجور لولا النشاء يبعثها فى ساعة النشر

وقد رأينا مما سلف كيف أنه تذبذب فى اخريات حياته بين عمله فى الجزارة وصناعته فى الشعر حتى يعود فى نهاية المطاف فيودع هذه ويهجر تلك حتى أن أحد مؤرخيه «صلاح الدين الصفدى فى المنهل الصافى» يقول انه استجدى فى اخريات حياته بدون شعر وان كان فى النفس من هذه الرواية شىء لان ابن سعيد الذى شغل نفسه به والحديث عنه لم يذكر ذلك ، كذا لم يذكره غيره ٠ ولكن هذا لا يمنعنا من العودة الى النظر من جديد لنرى أن ابن سعيد هذا مات قبل صلاح الدين الصفدى بل مات قبل الشاعر الجزار نفسه بست سنوات مما يجعلنا نقول أن الظروف القاسية ولقمة العيش التى لاترحم اضطرت الرجل ان يستجدى الناس بغير شعر وان الشيخ الصفدى لاحظ مالم يتمكن من ملاحظته ابن سعيد لانه عاش بعده وقد يكون شهد من أطوار حياة ابى الحسين الاخيرة مالم يتمكن من مشاهدته لابن سعيد وما الذى يدعونا الى الشك فى أن الرجل استجدى الناس وطلب عونهم ؟ أليست هذه هى النهاية الطبيعية لكل فنان أسرف على نفسه وأسرف على فنه؟ ألم نحدث عن شاعر النيل والشعب ـ حافظ ابراهيم أنه مات وليس فى بيته سوى مجلدة من كتاب الاغانى والعصر الذى عاشه حافظ ابراهيم هو بالقياس الى عصر ابى الحسين نهار مشرق الطلعة تفتحت عليه طاقات النور من كل حدب وصوب !

والتاريخ الادبى للعصر الحديث ـ ولكل عصر ـ مشحون بأمثال « امام العبد » و «عبد الحميد الديب» ممن لو ذهبنا نضرب لهم الامثال لخرج بنا عن طبيعة البحث واتجاهه ٠

لا ٠ ليس غريبا ـ ولن يكون غريبا ـ أن تضطره لقمة العيش ومطالب الحياة أن يستمطر الناس العطاء وهو الذى عاش يعطيهم ويغدق عليهم فى البذل ٠

وفى يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة خلون من شوال عام ٦٧٩هـ وبعد جهاد حافل فى رياض الشعر والادب وعمل دائب فى دنيا الساطور والوضم لقى شاعرنا ربه وعلى محياه ابتسامة الظفر والنصر وكأنه بموته عاد من معركة صراع عنيف انتهت بعد أن حقق نصرا كريما مع نفسه والناس حوله ٠

مات أبو الحسين فى داره بالفسطاط وعلى شفتيه يتمثل ببيت من الشعر كان يؤثره ويحبه ويتمثل به دائما ويلخص فيه حياته المتعددة الجوانب فيقول :

فالظرف والسيف والاوجاق تشهد لى والعود والنرد والشطرنج والقلم

رحم الله ابا الحسين ـ شاعر الفسطاط والشعب ـ وأثابه فى آخرته بما لم يتمتع به فى دنياه ٠

« **محمد جاد البنا** »



تعقيبات

بقلم : عباس خضر

الأدب والثورة
في مؤتمر الأدباء العرب

قدم في المؤتمر خمسة موضوعات عن الأدب والثورة ، أولها للأستاذ محمد المهدى المجذوب (السودان) ، وثانيها للاستاذين سعيد الشيبانى ومحمد شرف (اليمن) ، وثالثها للاستاذ على صدقى عبد القادر (ليبيا) ، والرابع للاستاذ صالح الخرفي (الجزائر) ، والخامس لعباس خضر (ج.ع.م)

والملحوظ في الموضوعات كلها انها تحدثت اكثر ماتحدثت عن الادب في البلد الذى ينتمى اليه الكاتب ، وابتعدت النظرة الشاملة للادب الثورى في الوطن العربى الكبير ، ولا استثنى من ذلك موضوعى .. واعتبر هذا نقدا ذاتيا ان شئت .

على ان ذلك وان كان يرجع الى التباعد بين الحركات الأدبية الحالية فى مختلف الاقطار العربية ذلك التباعد الذى نشكو منه والذى من اجل علاجه قام هذا المؤتمر ، الا ان الموضوعات في جملتها تتكامل وتعطى صورة للادب الثورى فى عدة قطاعات من الوطن العربى الشامل .

تناول الاستاذ المجذوب في بحثه عدة نواح ، فتحدث اولا عن الناحية التاريخية من حيث استقرار العرب وانتشار الثقافة العربية فيالسودان واطال في ذلك ، وتحدث سريعا عن الحاضر الثورى السودانى وتعبير الأدب عنه . وقد لاحظ عليه هذه الملاحظة الدكتور احسان عباس (لبنان) عندما عقب عليه ، وعلل ذلك تعليلا نوافقه عليه ، اذ قال ان الاستاذ المجذوب قد يعذر على الاطالة في الجانب التاريخى لأنه شاء ان يرسخ فى الأذهان حقيقة كبيرة لعله كان يحس أن اخوانه العرب في الأقطار العربية الاخرى بحاجة الى توكيدها ، **وتلك هى اصالة العروبة فى السودان وعمق الجذور الثقافية العربية فيه .**

ولمس الاستاذ المجذوب نقطة مهمة ، اذ قال ان الأدب الصوفي في السودان لم يكن ادبا فرديا او انعزاليا ، بل كان يعبر عن معان موضوعية من صميم الحياة الشعبية ، فاستثار الهمم وحفزها الى البذل في سبيل الغايات الشريفة .

وتحدث الاستاذان الشيبانى وشرفي عن ادب الثورة فى اليمن ، فعرضاه من الناحية التاريخية حتى اليوم ، ولاحظ الدكتور احسان عباس بحق انهما اطالا في الجانب التاريخى وعرضا عدة ابحاث مجموعة فى نطاق واحد ، واكثرا من الشواهد ، فلم يأت الموضوع راسخ الاسس مستكمل الصورة غير ان ماورد في بحثهما عن تاريخ الشعر اليمنى مفيد موضح قائم على معرفة الأحداث والبواعث والأسباب .

وكذلك يعد جيدا ماجاء في مقدمة البحث من قولهما ان أدب الثورة أدب يتطلق من التقوقع والانعزال ، وينزل الى الشعب وينير طريق المستقبل ويلهب جلود المتسلطين والمستعبدين ، وانه أدب انسانى يعبر عن الحقيقة المكظومة ، وان الثورة مصنع للجمال والحق والخير .

وتحدث الاستاذ على صدقى عبد القادر عن معنى الثورية في الأدب وقال ان العمل الفنى التزام ينطلق من رؤيا واضحة ، وانه في شكله الابداعى يمثل موقفا ، وأن طبيعته هى التأثير والتفسير والتغيير ، ودعا الادب العربى النضالى الى ان يستكشف كل

مدخرات الانسان العربي . ثم عرض نواحي وشواهد من أدب الثورة في ليبيا .

اما الاستاذ صالح الخرفي فقد درس في موضوعه الشاعر الجزائري **«محمد العيد»** باعتباره مثالا لتطور الشعر الثوري في الجزائر ، فقال ان الشاعر مر بمرحلتين كبيرتين في حياته وشعره ، احداهما مرحلة اليأس والانعزال والتوجع ، والاخرى مرحلة الانطلاق والدعوة الى العمل وتفجير الذاتية الصحيحة في الناس . وأتى الاستاذ الخرفي بنماذج جيدة من شعر محمد العيد في مواضعها من البحث وحللها تحليلا علميا دقيقا .

وما صنعه الاستاذ صالح الخرفي من ايراد شعر الشاعر المدروس ، يختلف عما لوحظ في الموضوعات السابقة من حشد الشواهد والاطالة بها دون ان يكون لكثير منها دلالة عميقة في الموضوع ، بل ان كثيرا من الشعر الذي استشهد به بعد من التعبير الحماسي المباشر الذي يفتقر الى القيمة الشعرية الفنية .

وكانت الموضوعات الأربعة كلها عن الشعر ، كان لانثر هناك قد عمل شيئا في الميدان الثوري ، **لاقصة ، لامسرحية ، لا مقال ، لا خطبة ، كأن لا شيء** من نثر شارك في شيء من ثورة .. وعذر الاديب الجزائري واضح من ناحية أن موضوعه عن شاعر والا ماكان يعفي من اهمال الحديث عن القصة الجزائرية الثورية .

ولعل ذلك يرجع الى طبيعة الانتاج الادبي في البلاد التي تحدث الزملاء عن الحركة الادبية الثورية فيها ، وذلك من حيث طغيان الانتاج الشعري فيها على غيره . **ولاشك أن الحال في الجمهورية العربية المتحدة يختلف ، فالقصة بانواعها المختلفة قامت بدور ثوري كبير** ، وهذا ماهتم به كاتب هذه السطور في موضوعه ، اذ عني بالقصة مع الاشارة الى الشعر .

ما أصعب أن يتحدث الانسان عن عمل له ، وخاصة في مجال الكتابة وفي صدد يجمع بينه وبين اعمال الاخرين ..

لذلك أشعر بان شهرزاد ادركها الصباح فسكتت عن الكلام المباح ..

والى اللقاء في العدد القادم حيث نستمر في تناول بقية الموضوعات التي بحثت في المؤتمر .

تحجبي وادخلي النجف

في مدخل مدينة «النجف» حيث يقوم ضريح الامام علي بن ابي طالب ــ علقت لافتة كبيرة تقول: **«تحجبي وادخلي النجف»**

وهناك عرفت السر ..

الزميلات المرافقات .. كانت كل واحدة منهن قد استطاعت أن تحصل على عباءة نسوية عراقية .. ودخلت فيها ..

ولكني مع ذلك لم ارهن قد تحجبن !

كانت العباءة تغطي الجسد .. أي نعم ..ولكن الوجه في اعلى الجسد كان مكشوفا مدهونا محمر الشفاه .. مزجج الحواجب !

وفي الطواف بالضريح لمحت الاخ المرح شاعرنا **صالح جودت** .. يدع الزملاء الى الزميلات .. تذكرت **«عمر بن ابي ربيعة»** فترحمت عليه .. كان معذورا ، فما كان يتاح له اللقاء الا حيال الكعبة . اما الآن فهن «على اكتاف من يشيل !»

وبهذه المناسبة اذكر ان الاستاذ صالح جودت كان دائم العناية بالزميلات والمعجبات بشعره العاطفي الرقيق ، وقد سمعته مرة يقول لاحداهن ــ وقد شملها بعنايته ــ «انت زي بنتي !»

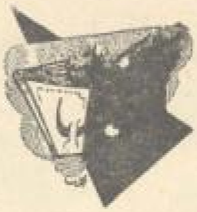
وكان الاستاذ صالح ــ بهذه المناسبة ايضا ــ يساعد الاستاذ رامي في العناية بمعجباته :معجبات رامي .. **وكان الاستاذ رامي محط الانظار من الجميع** ، ففي كل مكان تتحلق حوله حلقة ، حتى كنا نقول عندما نرى لمة من بعيد : **لابد أنها حلقة رامي ..**

وبما ان المناسبة متصلة فلابد من الاشارة الى **القلنسوة العراقية** التي استبدلها الاستاذ رامي **« بالبيريه » في رحلة النجف .. حتى لا يكون شكله** مثل «الخواجة» في حرم الامام علي ..

أما الدكتور محمد مندور فقد كان يلبس القلنسوة الروسية طول الوقت .

في النجف كل شيء بسيط ؛ ماعدا الضريح المزين بالسجاجيد الثمينة المفروشة والمعلقة بالجدران ، والمحلاة قبته من الداخل بالكريستال ومن الخارج بالذهب .

انه مهوى الأفئدة ومثوى الرجل الذي اجمع على حبه العرب والعجم : علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه .



● حمل الاستاذ سعيد الشيباني ممثل اليمن في حفل افتتاح المؤتمر على معارك المعقول واللا معقول والشعر العمودي وغير العمودي .. وقال انه من اللامعقول أن ينشغل الادباء العرب بهذا الكلام الفارغ في الوقت الذى يجرى فيه النضال فى الجنوب العربى والعمل لاسترداد فلسطين ، واثار عاصفة من الضحك والاستحسان عندما قال :

يجب أن تتجه كل الطاقات الى التعبئة الشعورية والتعبير عن النضال وليكن الشعر بعد ذلك باعمدة أو بلا اعمدة ..

● كانت اللجنة المنظمة للمؤتمر تصدر صحيفة يومية ، كانت مجالا للمناقشات والتعقيبات والاراء الحرة ، وكان محرروها يتتبعون كل مايجرى ويكتبون عنه بطريقة ظريفة ، واشتملت على كثير من الطرائف . **فكانت من انجح الأشياء فى المؤتمر .**

● فى احد الاجتماعات العامة بقاعة الشعب استأذنت **الدكتورة بنت الشاطىء** ـ ولم يكن اسمها في جدول المتحدثين ـ في كلمة قصيرة ، ولكنها استرسلت في كلام طويل ، وقالت فى البدء انها لن تخطب ، ثم خطبت .. **وكانت حصيلة ذلك درسا** نقلتنا به ـ **كطلبة ـ الى حلقة من حلقات التفسير .. تفسير سورة الضحى .**

● كان بين المدعوين من الجمهورية العربية المتحدة الى مؤتمر الأدباء العرب ـ من ليسوا من الأدباء العرب ..

● كان معظم ماقيل عن الادب في المؤتمر متجها الى الشعر ومحصورا فى دائرة الشعر .. حتى قال كاتبنا القصصي الدكتور يوسف ادريس : **« ايه الحكاية .. هو كله شعر .. شعر .. هو مفيش في الادب غير الشعر ؟ »**

● كانت احدى الشاعرات مهتمة جدا بالاستعداد لالقاء قصيدتها في مهرجان الشعر ، فتناولت قبيل القائها شايا بالزبدة .. حتى تنعم حنجرتها !

● ينص القانون الاساسى الذى وضع لمشروع اتحاد الادباء العرب على أن تعتبر وفود الادباء وممثلو الهيئات فى الاقطار التالية مؤسسة لهذا الاتحاد :

الأردن ، تونس ، الجزائر ، السودان ، العربية السعودية ، العربية المتحدة ، العراق ، سوريا ، فلسطين ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، المغرب ، اليمن البحرين ، عمان ، قطر .

كما ينص على أن مركز الاتحاد الدائم مدينة القاهرة ، وينتقل هذا المركز أثناء انعقاد المؤتمر الدورى الى مكان انعقاده .

● لوحظ انه لم يعلن عن مكان اجتماع المؤتمر القادم وزمانه .

● من توصيات المؤتمر أن يواصل الادباء تأييدهم لحركات التحرر في جميع اجزاء الوطن العربى ، **وبخاصة في الجنوب اليمنى المحتل وفى عمان والخليج العربى ، وتأييدهم لحركات التحرر العربية في الاجزاء السلبية من الوطن العربى .** وأن يولى الأدباء عنايتهم لحركات التحرر خارج الوطن العربى وبخاصة في افريقيا باعتبار أن قضية الحرية فى العالم كل لايتجزأ .

● ومنها : يؤيد المؤتمر رجال الفكر والادب الذين يدافعون عن القومية العربية وعن الوحدة العربية ، والذين يدحضون مايثار حولهما من شكوك واضاليل .

● وأوصى المؤتمر فيما يختص باتحاد الادباء العرب ان يكون من اهدافه الدعوة الفكرية لتحرير الوطن العربى وتحقيق اهدافه القومية ودعم تراثه الثقافي والعلمى وايضاح دوره فى بناء الحضارة الانسانية .

● يجرى برنامج **«مع النقاد»** بالاذاعة على قاعدة .. هى ان لايتعامل مع أى كاتب يكتب شيئا في نقده .. فلاتناقش مؤلفات الكاتب ولايشترك في ندوات البرنامج . **ومعنى هذا أن برنامج النقد يحارب النقد !**

« عباس خضر »

حول الأدب الشيوعي

بقلم عبده بدوي

مع الفكر المعاصر

أثبتت مجلة « الفكر المعاصر » أنها في الصورة التي رسمت لها تستطيع أن تكون مرتكزا فكريا لمناقشة قضايا الانسان الجديد ، وأنها تستطيع أن تضع يدها دائما على الأسس الفكرية لروح العصر ، بحيث يمكن أن يتربى عند القارىء العربي الوعى الفلسفي بالواقعية ، والبرجماتية ، والوضعية ، والوجودية ، والظاهراتية ، والكائنية الجديدة ، والمادية الجدلية ، والمثالية ، والطبيعية ، والشخصانية والحدسية ٠٠ الخ ٠

وفى ضوء هذا يمكن للقارىء أن يكون مفتوح القلب والعين على أشياء كثيرة وضرورية لانضاج الانسان العربي ، بعد أن أصبح يجد نفسه محاصرا أو كالمحاصر بالكثير من القضايا الماركسية ٠

ان أحدا لا ينكر ما للماركسية من ضرورة في تركيب الانسان المعاصر ، وبخاصة فيما يتصل باقتصاده ، اما أن تتدخل فى كل صغيرة وكبيرة من سلوكه ، واما أن تصور على أنها الوجه الوحيد للتقدم فشىء تنكره حقيقة المنطقة العربية وماضيها وحاضرها ومستقبلها ، بل تنكره طبيعة تكوينها ، وطبيعة النظر اليها من خلال خريطة كبيرة تسمى العالم !

صحيح أنها تستهوى البعض لارتباطها أشد الارتباط بالوثوب الى الحكم ، وللوصول الى المكاسب بعد التصفية الدموية والنسف لكل القيم ، ولأنها لاتستغنى أبدا عن التنظيم المترابط سواء أكان ظاهرا أو مستترا وبخاصة فى المناطق « المفرغة » أو التى تعاد صياغتها ٠٠ ولكن كل هذا يختلف جوهريا عن أن يكون شبه ضرورة فى نفسية الانسان الذى يعيش فى المنطقة العربية ، ومن ورائها الخلفية الاسلامية ٠

ومن هنا كان من الضرورى أن نفتح صدورنا لكافة الثقافات لأنها جميعا قوى منشطة ، ولسان يمكن أن يتفاهم به كافة المثقفين ، ولعل نظرة سريعة للخلف تؤكد أن الحضارة العربية كانت تزدهر حينما كانت تصب فيها كافة الحضارات ، أما حين كانت تحاصر بالثقافة الواحدة التى كان يمثلها الغزاة فانها كانت تذبل وتتشقق وتنذر بالسقوط ، ويمكن أن

نتأكد من هذا حين تحدق في شريحة واحـدة من الجسم العربي وهي الجمهورية العربية المتحدة تحت ضغط الاتراك ، ثم الفرنسيين ، ثم الانجليز ، أما الآن ففرصتنا الوحيدة في أن يكون العالم كله قريتنا ، ولن يخشى أحد على حضارتنا لأنها استطاعت في الماضي – **وعليها رمل الصحراء وتاج الشمس** – أن تستوعب حضارة العالم القديم وتتمثله وتقدمه للعالم مرة أخرى ، وعلى كل من يشكك في الحضارة أن يفكر لحظة في المصادر التي أخذ عنها التشكيك ، ثم يفكر مرة ثانية فيما عرفه من « فتافيت » هذه الحضارة ، ثم ليفكر مرة ثالثة في أن كل ما حصله عن هذه الحضارة مغلوط وقابل للتعديل لأن أعداء هذه الحضارة كانوا أصحاب « الصوت العالي » في كافة المنطقة ، وأنهم قدموا كل شيء على غير صورته الحقيقية .

ومهما يكن من شيء فالذي نريد ونحن نستقبل « الفكر المعاصر » أن تكون « طموحين » فتتعدى دائرة التلقي الى محاولة الالحاح الدائم على جلاء واستتباب وجهة نظرنا نحن الى الأشياء ، والى الاهتداء الى الينابيع في المناخ الثقافي المعاصر ،والى عدم التحيز المفتعل لفلسفة على حساب الأخرى ، أو لمصادرة الكل لحساب فلسفة واحدة ، أو لأن المتكلمين باسم الفلسفات يجدون الآن فرصة الترويج عنها بطلاقة في كافة الصحف والمجلات ، كما يضعون في يدهم سيفا باسم الكلمة .

اننا لا نستطيع الحكم على هذه المجلة من خلال عدد واحد ، ولكنا سنضع دائما أمام عينينا كلمة رئيس التحرير الدكتور زكي نجيب محمود ، التي قال فيها :

« ان هذه المجلة لترجو بما تعرضه امام القارىء من ثمار الفكر المعاصر أن تمهد أمامه السبيل الى مسايرة الحركة الفكرية مسايرة لا يكتفي فيها بما يتناقله الناس من عبارات عنها قد لا تكون قريبة من الصورة الصحيحة الدقيقة ، وهي اذ تنشر ما تنشره تتوخى أن تختار ما يمثل روح العصر تمثيلا ظاهرا حتى تتكامل أمام القارىء على مر الشهور صورة يبنيها لنفسه جزءا جزءا » .

ان ما يوجه للمجلات الآن أنها تتعدد يوما بعد يوم ، ولكن الذي لاشك فيه أن المجلات الادبية عندنا لم تتعدد بما فيه الكفاية اذا وضعنا في تصورنا مسئوليتنا عن « الكلمة » في العالم العربي .

وأعتقد أن المجلات الموجودة يجب أن تفسح من صدرها مكانا لكل مجلة جديدة ، وذلك بأن تراجع دائما خطتها – عقب ظهور كل مجلة جديدة – وذلك بأن تتنازل عن بعض الأبواب والافكار ، ثم في الوقت نفسه تعمل على أن تشب المجلات الناشئة ، **وعلى أن تفسح لها مكانا بجوارها .**

وأخيرا ونحن نستقبل هذه المجلة التي تمثل الفكر المفتوح لكل التجارب ، لا نقول ولا نتصايح كالبعض « يكفي ما عندنا » ، ولكن نقول اننا ما زلنا نطمع في الكثير .. لأننا مكلفون بمخاطبة الكثير على طول الجبهة العربية من الخليج الى المحيط .

الفكر العربي بالخرطوم

في رسالة رقيقة وصلت الى من السودان ، تأكدت من جدية الحياة الفكرية هناك ، ومحاولتها الصادقة في ألا يقف النبض الفكري عند الحدود السودانية ، ذلك لأنها تدرك تمام الادراك أن الأدب العربي سيظل شاحبا ومتضائلا ومتعرضا للضربات الحاقدة ما دامت ستتعدد رءوسه فوق جسد الوجود العربي الواحد ، فأية نظرة اليه وهو في هذه الصورة توضح أنه قزم مضحك يمكن أن تنهال عليه الضربات داخل الحدود السياسية المقفلة .

اما حين يصبح للفكر العربي وجه واحد وشخصية واحدة ثرية ، فانه بلاشك سيستعصي على الضربات الحاقدة من الداخل، وسيقابل بالاحترام في الخارج ذلك لانه سيكون حينئذ وعياذكيا ،ومذاقا جديدا ، وثمرة طبيعية لشجرة كبيرة تضرب جذورها في كافة البلاد العربية ، ووليدا شرعيا لحركة الحياة الفكرية من أسبق العصور .

ولعل التركيز على الفكر العربي لم يصبح قضية وجود كما هو الآن في السودان ، فهناك محاولة قديمة « لتعقيمه » ، خوفا من تأثيره على البلاد الافريقية التي تحيط به ، بل لقد وصل حد «التعقيم» الى احداث « شرخ » في الوطن الواحد ، واقامة أكثر من « **حزام » في داخله أو في جنوبه أو بالقرب** من جنوبه ، لأنه كان في نظرهم – الى جانب أنه يغلي دائما بطلب الحرية ويمكن الضغط منه على الشمال – **يحمل وجها عربيا اسلاميا يجب عزله عن**

افريقية التي كانت تعد في هذه الفترة لتكون فيما وراء الصحراء ذات وجه مسيحي ، وهكذا أدرك الغربيون من فترة كبيرة أن عملية التعريب والأسلمة لن يخشى منها في بلد افريقي مثلما يخشى منها في السودان ، ومن ثم كان التركيز على الجنوب بالعزل والتبشير وزراعة الكراهية مما نجد أثره الآن .

ومهما يكن من شيء فقضية جنوب السودان قضية عربية في نسيجها الكبير ، وقضية الفكر العربي في السودان قضية يجب ان تساند من كل مكان وبخاصة في الجمهورية العربية المتحدة ، ولعلنا نلمس هذا من المثقفين الذين أعلنوا قيام هذا المكتب في العاشر من شهر فبراير عام ١٩٦٤ لتحقيق الأهداف التي تتلخص فيما يلي :

١ ـ تعميق مفهوم الثقافة العربية والفكر العربي في نفوس السودانيين عامة والناشئة بصفة خاصة .

٢ ـ دراسة آثار الفكر العربي عبر التاريخ واعلاء شانه وابراز دوره في الحضارة الانسانية .

٣ ـ العمل على النهوض بالادب العربي والثقافة العربية السودانية حتى تضارع مثيلاتها في البلاد العربية الاخرى .

هذا وقد تم تكوين هذا المكتب من الأساتذة :

١ ـ ابو القاسم عثمان ـ رئيسا

٢ ـ مصطفى احمد سالم ـ سكرتيرا

٣ ـ حسين بيومي السايح ـ امينا للصندوق

٤ ـ محمود عثمان البارودي ـ مديرا للدعاية ـ وعضوية كل من :

٥ ـ مختار محمد مختار

٦ ـ ابراهيم عبد القيوم

٧ ـ محجوب عمر باشري

٨ ـ الطيب شبشة

٩ ـ عبد الغني جوهر

١٠ ـ عبد الواحد لبيني

١١ ـ فيصل عبد الماجد قاسم

١٢ ـ خليل عبد الله الحاج

١٣ ـ محمد عثمان حسنين

١٤ ـ تاج السر الطيب .

هذا والمكتب يرحب بالاعضاء الذين يؤمنون باهدافه ويعملون لنشرها في السودان والبلاد العربية الاخرى .

هذا ويشرفني ان اكون أحد العاملين على تعميق دوره ، ويسعدني أن أضع عنوانه لكل الذين يحبون الاسهام فيه وهو « مكتب الفكر العربي ـ الخرطوم ـ صندوق البريد ٢٠٧١ » ولعل جمعياتنا الادبية تصل ما بينها وبين هذا المكتب بأكبر من سبب ، وتحية مخلصة وصادقة الى مكتب الفكر العربي بالخرطوم .

آخر الكلمات

الذي يطالع كتاب « **آخر كلمات العقاد** » الذي قدمه أخيرا للعربية عامر العقاد ، يصل الى سر أسرار العقاد ، ومع أني قد تعرضت من قبل لمادة هذا الكتاب في عددين من أعداد الرسالة ، الا أن هذا لا يمنعني من أن اقف وقفة سريعة ـ من خلال الكتاب ـ على محاولة العقاد المستمرة «**في احياء الثقة بالروح الانساني ، وصيانة هذا الروح الالهي الخالد من لوثة المادة ومهانة الانكار العقيم ، أو مهانة كل اعتقاد وخيم يغلب فيه عامل السلب والنفي على عامل الثبوت والايجاب** » .

واذا كان البعض قد حلا لهم وضع العقاد في اطار ثابت » ، والتغاضي عن المواقف الحركية التي تكفي جيلا من كتاب اليوم ، فانهم بلا شك كانوا يعتقدون انه كان « **يبني** » أو يعرض ما هو قائم وشامخ ، ولكنهم من وجهة نظرهم يؤمنون بالسير على الضحايا ، وفتح الصدر فوق المناطق المنسوفة ، والخالية تماما من كل قيمة أو اعتقاد .

ولاشك أن العقاد قد فعل هذا استجابة لتحديات في عصره الذي كان متآكلا ومملوءا بالتصدع والريب والاعتماد على القوى الدخيلة ، ولكن ما الذي يجعل البعض منا يتطوع الآن لنسف كل شيء ، دون أن يقوم بعملية فرز بين ما هو صالح للبقاء ، وبين ما هو

ضار كالاعشاب ؟ وما الذى يجعل الانسان فى بعض الفضائل الأدبية يبدو الآن يائسا ومنهارا ورافضا وقوادا ولوطيا ؟ .

اننا لا نريد الانسان المثالى الذى يبدو فى نقاء الملائكة ، ولا نريد الانسان السفاح الذى يحمل بين جنبيه غاية الحقد ، ولكنا نريد الانسان الذى يخطىء ويصيب ، ويدور بأهدابه بين السماء والأرض ، ويبكى ويضحك ويزحزح التاريخ ، ويملأ وجه الحياة بالحب والابتسام والعزم ! ويكون دائما فى صف بناة الوجود .

ومهما يكن من شىء فسيظل العقاد دائما أحد البناة فى التاريخ ، وأحد الذين أعطوا الانسان فى الشرق الثقة فى نفسه ، والثقة فى مواجهة الذين يتحدونه .

ولنستمع الآن الى طرقات العقاد التى مازالت حية فى بنائنا الحضارى ، والتى لاتزال مسموعة رغم الذين تسمع لهم طرقات أخرى فى البناء الحضارى للانسان العربى ، بل انى أعتقد أنها تعلو على طرقاتهم وان كانت لا تغطيها .

يقول العقاد :

● من دان بعالم لاقداسة فيه ولا احترام ، من اين تأتيه المهابة ؟ ومن أين يأتيه الاحترام ؟

● نحن لانعلم من آثار الشرقيين الاقدمين أنهم تركوا « فلسفة » تبحث فى أصول الوجود بغير صبغتها الكهنوتية ، ولكننا لا نستطيع من أجل ذلك أن نجزم بانقطاع تفكيرهم فى مدة البحوث ولا بقصورهم عن ادراك مداها ، لانهم لم يتركوا لنا كذلك كتبا مفصلة عن علوم الفلك والرياضة والكيمياء التى لاشك فى اشتغالهم بها ، وتطبيقهم لها فى بناء الهياكل ونقش الجدران وتحنيط الموتى ورصد الكواكب وسياسة الانهار ، وكل مانستطيع أن نجزم به أنهم لايعلنون ماعرفوه ولا يدل كتمانهم له عن جهلهم اياه .. ولسنا نريد باثبات فضل الشرق ان نبخس فضل اليونان فى ترقية الفلسفة ولكننا نقرر الواقع حين نقول : ان الذين يتخذون الفلسفة اليونانية ذريعة الى اتهام الشرق بالقصور ينحرفون عن سنة الانصاف ، ويتورطون فى ادعاء لا دليل عليه .

● ان طابع الذوق العربى هو طابع النخلة العربية بقامتها الهيفاء ، وفروعها التى تتلاقى فى عقود المربعات كما تتلاقى الاركان والاعمدة فى هندسة البناء ، حينما طبعته بطابعها على الرغم من قيام البنائين أو المهندسين عليها من أبناء الامم الاخرى .

وليس أبعد من البعد بين البحر والصحراء ، ولكن العرب ركبوا البحر فقبضوا بأيديهم على زمام الملاحة بين الهند وفارس وسواحل افريقية الشرقية فسمى البحر كله باسم «**بحر العرب**» وسمى الشاطىء الشرقى من سواحل افريقية باسم السواحل حيث يتكلم الافريقيون الآن باللغة السواحلية كما يسميها الاوربيون .

والتجارة من اسباب المعيشة ، فمن الذى بلغ بها ما بلغه العرب فى الهند واندونيسيا وافريقية الوسطى ؟ .

انها بلغت على أيديهم ان تكون فتحا فى عالم الروح، ولم تكن فتحا فى عالم المال وكفى، اذ أصبح فى تلك البقاع قرابة مائتين من الملايين من المسلمين لم يعرفوا دينهم من غير اولئك التجار الناجحين .

● اننا نعلم من هذا الواقع اننا سبقنا السابقين الى ثقافة المعرفة وثقافة العقيدة قبل اربعين قرنا ، وأننا أعطينا العالم حظا منهما لايزول منذ اربعة عشر قرنا ، وأن ماكان فى ماضى الزمن غير مرة .. ليكونن غير مرة فى الزمن القريب ، وفى الزمن البعيد !

● اننى لا أقيس المدنية الغربية بعدد اختراعاتها ولكن بالملكات التى انتجتها ، فهل بين هذه الملكات ما هو أعظم وأجل وأرفع من الملكات التى ابدعت صناعات المدنيات الغابرة وعلومها وفنونها ؟ ان كان ثمة فرق فهو يسير جدا بالنسبة الى غطرسة المدنية الغربية ودعاواها ، وأنا أعتقد اعتقادا جازما أن القمة الروحية التى ارتقى اليها نساك الشرق وفلاسفته لم يبلغها غربى ممن نعرفهم ونقرأ كتاباتهم ، وان هذا التقصير عيب كمين فيهم ، ويكفى أن اوربا لم تنبت نبيا ، وانها عالة على الشرق فيما تدين به !

وتحية مخلصة للرجل فى أول الكلمات وفى آخر الكلمات .

« عبده بدوى »



مصير صرصار .. أم مصير اللغة العربية ؟

بقلم : جلال العشري

لا أدرى ما الحكمة فى اصرار مسرح الحكيم على تقديم مصنفاته باللهجة ولا أقول اللغة العامية ؟ ماسر كل هذا الحماس للهجة العامية وكل هذا العداء للغة الفصحى أو اللغة العربية ؟ ان اللهجة العامية قد تكون مستساغة فى ترجمة المسرح الكوميدى ولكن لا يمكن أن تستساغ فى ترجمة المسرح التراجيدى فضلا عن المسرحين .. الشعرى والتاريخى . ذلك لأن اللغة الفصحى قد تعجز عن نقل روح الفكاهة وهى الركيزة المحورية التى تدور عليها أحداث المسرحية الكوميدية تلك التى ترتكز على المفارقة اللفظية وتقصد أساسا الى اشاعة جو الضحك فى بيئة بعينها وبين جمهور بالذات . ولهذا السبب وحده دونما سبب سواه تصبح العامية لامجرد قالب يصب فيه مضمون العمل الفنى بل جزء أصيل فى بنية المسرحية وعنصر داخل فى صميم البناء الدرامى ، أما اذا كانت المسرحية من غير النوع الكوميدى فلا يكون ثمة داع للعامية على الاطلاق لان اللغة العربية هنا تكون أكثر وفاء لكل ما يحمله النص من مضامين وأكثر صلاحية لتوصيل التيار الفنى الى الجمهور . فهى اذ يتلاقى فيها تعبير الحقيقة وتعبير المجاز على نحو لا نظير له فى العامية ، واذ تنفرد بفن العروض المحكم الذى يبرز جمال وقعها فى الاسماع ، واذ تقوم أساسا على عنصرى الوزن والحركة وهما قوام فن الشعر وفن الموسيقى فضلا عن الفن الدرامى ، انما تستطيع ان هى وقفت على خشبة المسرح أن تكشف عن ثرائها المذهل الذى تتعرى أمامه العامية فلا تبدو الا فقيرة مسطحة خالية من الدسم والظلال .

والغريب بعد هذا كله أننا نناقش قضية **العامية والفصحى** فى الوقت الذى نتكلم فيه عن احدى مسرحيات توفيق الحكيم . فربما كانت القيمة الفنية لهذا الكاتب بعد قيمته التاريخية هى فى احساسه الحاد بطول المسافة بين اللغتين وحاجة المسرح الى لغة ثالثة تلائمه وتصلح له فتكون بحق هى لغة التخاطب أو لغة المسرح . ومن هنا خرجت لغة الحكيم التى لا هى عامية ولا هى فصحى وانما هى عامية وفصحى فى وقت واحد ، أعنى أنها اذا قرئت مشكولة كانت فصحى واذا قرئت بلا تشكيل كانت عامية . المهم أن لغة الحكيم هذه هى أسعد المحاولات التى قدمت حتى الآن لحل المعادلة الصعبة التى يعانى منها مسرحنا العربى المعاصر . فاذا جئنا بعد ذلك ومسخنا هذه اللغة بنقلها الى العامية كنا كمن يقضى

على الأنفع والارفع فى فن الحكيم المسرحى بل كمن يقضى على الاصالة والطرافة فى مسرح الحكيم كله لأن القضية هنا لا تصبح قضية النزول الى الكثرة المتفرجة بل قضية النزول بفن الحكيم نفسه ، ذلك الفن الذى قاده الى محاولة وضع لغة خاصة به يمكن من ناحية ان تسمى باللغة الحكيمية وأن تكون من ناحية أخرى شيئا يضارع اللغة الهوميرية او اللغة الأليوتية او لغة كزانتزاكيس أو غيرها من اللغــات الخاصة بكبار الكتاب .

واذا نحن تذكرنا صداقة الحكيم للشاعر الفرنسى جان كوكتو ومحاولة الاخير البحث عن الشــعر الصالح للتمثيل باعتباره المشكلة الحقيقيــة لمسرح منتصف القرن . والتى لخصها الشاعر بقوله .. ليس المهم أن نضع الشعر فى المسرح ولكن المهم أن ننظم الشعر الصالح للمسرح . استطعنا أن ندرك أهمية الجهد الذى يبذله كاتبنا المسرحى من أجل ابتداع هذه اللغة الخاصة ، وخطـورة العمل الذى تقوم به الدكتورة لطيفة الزيات فى اطاحتهـا بهذه اللغة فى فورة الحماس للعامية والنفور من اللغــة الفصحى أو اللغة العربية .

ثم من قال ان هذه اللغة التى نقلت اليها مسرحية الحكيم هى العامية ، انها لا تزيد فى كثير أو قليل عن لهجة القاهرة المحليــة التى يلوكها المثقفــون وانصاف المثقفين ، لهجة نظيفة منتقاة ، كلماتهــا ممطوطة ومستحدثة تكاد تقتصر على هذه الفئة دون غيرها من الفئات ، اما العامية بحق ، العامية التى نسمعها مع ضربات الفاس فى الحقل وهدير الماكينة فى المصنع وعراك النسوة فى الازقة والحوارى أو حتى فى قاع المدينة فشىء آخر غير العاميــة التى نسمعها على مسرح الحكيم أو التى سمعناها من شاعر مثل بيرم التونسى وآخر مثل صلاح جاهين .

خذ مثلا هذه العبارات التى ترجمتها الدكتورة الى العامية وارجع الى النص الاصلى لترى انها لم تدخل الا تحريفات بسيطة كان من شانها أن ميعت نكهة الاسلوب فلا بقى على حالته الحكيمية ولا انتقل حقا الى العامية ، فعبارة سامية : « أسـكت من فضلك لا تزعجنى بهذا الدق» ترجمتها الدكتورة : «تخلينى أخرج عن طوقى ياحبيبى » . وعبارة عادل : « انى أدللك لأنك امرأة .. امرأة ضــعيفة .. جنس ضعيف » . جاءت فى الترجمة : « بدلعك لأنك جنس ضعيف .. جنس ضعيف يا هانم جنس ضعيف » .

وكلام سامية : « حضرته حابس نفسه فى الحمام » ترجم « قافل على نفسه فى الحمام » ، وقولها أيضا : « أعصابى تحطمت » ، ترجم « أعصابى خلصت » . وشطرة « وما نيل المطالب بالتمنى » ، ترجمت هكذا: « وما نيل المطالب بالتمتو » وكذلك عبارة : «ناولنى البشكير » ترجمت ادينى البالتوه ، وعلبة البودروه بدلا من علبة البودرة ، والبــــوتاجازوه بدلا من البوتاجاز ، والبانيوه بدلا من الحوض . هــذا عدا كلمات كثيرة بدلت تبديلا لا معنى له مثل كلمة حنان التى استبدلت بكلمة حنية والحنان غير الحنية، وكلمة الملاسة التى استبدلت بكلمةالنعومة والنعومة لا تشترط فيهــا الملاسة . ويتسلق حائط البانيو غير يطلع حائط البانيو . والسقوط غير الوقوع . والانزلاق غير التدحرج الى آخر هذه الكلمات التى فقدت شحنتها الايحــائية وأكثر ما فيهــا من رسم وتكوين بترجمتها الى هذه العامية .

صحيح أنالنص الاصلى لايعدم العبارات الركيكة صعبة الاداء من ذلك مثلا قول سامية : « لكنه كان شعر الصبح ببعض التوعك » ، وقول عادل : « الحق على .. أنا دائما الذى على الحق » . وقوله أيضا : « انه جاء طبعا لان فى البيت يوجد مريض » وأيضا: « هل أنا غلطت فى شىء » . الى آخر هذه العبارات التى لايمكن أن يكون وجودها مبررا كافيا لترجمة النص كله الى هذه العامية . فالمعقول والمقبول أن يترجم توفيق الحكيم الى اللغات الاجنبيــة أما ان يترجم الى العامية فلا هو معقول ولا هو مقبول على الاطلاق .

ونترك حكاية الترجمة الى العاميــة وننتقل الى حكاية الاعداد المسرحى ، فالمعروف فى الدنيا كلها أن الاعداد المسرحى ماهو الا نقل عمل فنى من وسط الى وسط آخر ، من الوسط الروائى مثلا الى الوسط الدرامى ، ليست كل رواية بطبيعة الحال وانمــا الرواية التى تحتوى فى نسيج تكوينها على خيط درامى يجعلها صالحة للاعداد المسرحى .. صــالحة لأن تتحول الى عقدة وحركة ، الى سلوك وتصرف ، الى فعل وانفعال . فاذا سالنا ومن الذى يقوم بهذا الاعداد ؟ كان الجواب الطبيعى هو الكاتب نفسه ان كان عنــده من الدراية الدرامية ما يمكنه من نقل عمله الروائى الى هذا الوسط الجديد . هكذا فعل شتاينبك فى رواية « رجال وفيران » التى حولهــا

الى مسرحية تحمل نفس الاسم ، وهكذا أيضا فعل البير كامى فى رواية « الطاعون » التى مسرحهـا بعنوان « حالة الحصاد » . فان لم يكن الكاتب على استعداد للقيام بعملية التحويل هذه ، تصدى لمسرحية الرواية كاتب آخر على علم تام بفن الدراما بحيث يجيء جهده الاعدادى عملا فنيا قائما بذاته لا يقل عن العمل الأصلى فى درجات الخلق والابداع .. كما فعل كامى فى رواية «الممسوس» لدستوفسكى ورواية « الحرم » لوليم فوكنر ، وكما فعلت كيتى فرنجس فى مسرحية « الى البيت يا ملاكى » التى اقامتها على رواية توماس دولف ، وكما فعل وليم ارشيبالد فى مسرحية « الأبرياء » التى أخذها عن قصة « دورة اللولب » لهنرى جيمس .

والغريب بعد هذا كله أن عكس هذا تماما هـو ما حدث فى مصير الصرصار ، فالمسرحية أصـلا مسرحية وكاتبهـا مؤلف مسرحى بل هو الاب البيولوجى للتأليف المسرحى عندنا ، ورغم هـذا تجيء الدكتورة لطيفة الزيات وهى أصـلا كاتبة روائية لتعد مسرحية توفيق الحكيم للمسرح !! فهل هذا معقول ؟ . الذى افهمه ويفهمه كل انسان أن يقوم توفيق الحكيم مثلا باعداد رواية « البـاب المفتوح » للمسرح أما أن يحدث العكس فهذا غير معقول واكثر منه لامعقولية أن تتدخل الدكتورة فى تغيير نهاية المسرحية تغييرا كاملا أفقد العمل كله دلالته ومعناه . فتوفيق الحكيم هنا يؤكد ضرورة البحث عن شكل جديد للمسرح ، كما أكد أن هناك ضرورة البحث عن اللغة الصالحة للمسرح ، اذ عمد الى التخفيف من حدة الدراما والاستعاضة عنهـا بالمادة السخية الرفيعة والحوار البسيط غير المتكلف والصور الفذة الموحية تمـاما كما فعل كوكتو فى « الآلة الجهنمية » التى خفف فيها من حدة التوتر وقلق الترقب حين جعل الكورس يروى القصـة كلها فى بدء المسرحية . وهذه جميعا أبعاد لا يقوى عليها الا الكاتب المتمكن من أصول فنه لانها سريعا ما تتحول فى يد غيره من الكتاب الى حدوتة بسيطة ساذجة لاتكاد تنطوى على شيء .

ولا شك أن هذا هو ما قصد اليه الحكيم بقوله فى مقدمة مسرحية « ياطالع الشجرة » : « وليس عجيبا ان تتغير بؤرة الحساسية الفنية هذا التغيير، فما دمنا فى صدد الفن الحديث ، فهـذه هى بؤرة الحساسية الفنية فيه » . ولا شك أيضا فى أن هذا هو المعنى المقصود من وراء تقديم مسرحية « مصير صرصار » بعد مسرحية « الجياع » اشارة الى تطور فن الحكيم المسرحى من اهتمام كامل بالمضمون الى اهتمام كامل بالشكل ، ولـكن الدكتـورة جاءت فاضاعت هذه الاشياء جميعا بتدخلها الـكامل فى تغيير نهاية المسرحية ، فبدلا من المحافظة على تموج شخصية البطلة ذلك التموج الذى قصد اليه الحكيم قصدا حين صورها قوية متسلطة واثقة من نفسها الى حد الغرور ثم عاد فصورها خاضعة تائبة مضحية بشخصيتها لانقاذ زوجها من المرض المفزع الذى حدثها عنه الدكتور ، مرض التشبه بالصرصار أو التحول الى صرصار تماما كما حاول بيرانجيه انقاذ صديقه جان من مرض التشبه بالخرتيت أو التحول الى خرتيت ، وأخيرا عاد فردها الى ماكانت عليه .. قوية متعجرفة تتكلم بلهجة آمرة ، تأمر زوجها أن يقعد ليرتب لها ملابسها وفساتينها حتى تعود من عملها فلا يملك الا أن يطيع مرتدا كل الارتداد الى طبيعته الحشرية متنازلا كل التنـازل عن طبيعته البشرية ، وهو ماعبر عنه الحكيم تعبيرا رائعا عـلى لسان عادل الذى يصيح فى حزن مأساوى جليل : « يا أم عطية .. هاتى الجردل والخرقة .. وأزيلينى من الوجود ! » .

أقول ان الدكتورة لطيفة الزيات أضاعت هذا كله بتدخلها فى تغيير نهاية المسرحيـة والوقوف بالحدث عند التحول الفجائى الذى طرأ على شخصية الزوجة تضحية منها فى انقاذ زوجهـا ، وبذلك تحولت مسرحية الحكيم من عمل أقل ما يقال فيه انه مسرحية الى عمل آخر أكثر مايقال فيه انه تمثيلية اذاعية أو تليفزيونية تعالج مشكلة من مشـاكل الحياة الزوجية .

ولا أدرى على عاتق من تقع مسئولية اختزال المسرحية الى فصل واحد بدلا من فصلين ، على عاتق المخرج أم على عاتق الدكتورة ، ان اسدال الستار على الفصل الاول ورفعه عن الفصل الثانى ليس معناه اجازة قصيرة تعطى للممثل ولا معناه استراحة قصيرة يدخن فيهـا المتفرج سيجارة أو يشرب كوكاكولا وانما معنـاه أن مرحلة معينة من تطور الحدث الدرامى قد انتهت وأن فاصلا دراميا يتحتم وقوعه هنا بين الفصلين . فاسدال الستار على خروج ورفعه بعد مرور أقل من دقيقة على انصراف الدكتور ذلك الانصراف السريع معناه الانتقال بالحدث الى

المرحلة التالية التي تتهيأ فيها البطلة لاستقبال التحول المفاجىء الذى سيطرأ على سلوكها فى الفصل الثانى ، المهم أن هذه المسئولية ان كانت تقع على عاتق المخرج فانها لاتقلل كثيرا من الجهد الممتاز الذى بذله فى اخراج هذه المسرحية وبخاصة فى ادارة الحوار وتحريك الاشخاص ، فاذا اضفنا الى جهده فى الاخراج توفيقه فى تصميم الديكور وبراعته فى تكوين الاضاءة استطعنا أن نقول ان حسين جمعة مخرج موهوب لم يصادف بعد العمل المسرحى الكبير الذى يفجر ممكناته الخلاقة ، ولا يمنعنا هذا بالطبع من ابداء بعض الملاحظات على الاضاءة التى رغم روعتها لم تكد تتغير طوال المسرحية وكان فى امكان المخرج استغلالها فى عمل تشكيلات تضفى على المواقف قيمة جمالية أغزر وخاصة مع الديكور الذى لايعيبه الا صغر مساحة الحمام بالقياس الى حجرة النوم . وكنت أفضل العكس لان الحمام فى الحقيقة هو مركز الثقل الذى تدور فيه معظم أحداث المسرحية اما عن اختياره لبطلى المسرحية .. سناء جميل وصلاح منصور فقد كان موفقا فيه كل التوفيق . بل لا أستطيع أن اتخيل امكان أداء هذه المسرحية بدون هذين الاثنين بالذات .

كانت **سناء جميل** ممتازة كعهدنا بها دائما .. ملأت المسرح وتشبعت بالدور وأسقطته على الجمهور ببراعتها النادرة . ولكنها بدلا من أن تلتقط شخصية الزوجة الواثقة من نفسها المتحكمة فى زوجها مما يجعلها تتصرف بيقين ولا مبالاة كانت عصبية أكثر من اللازم وأدت بها هذه العصبية فى بعض الاحيان الى الدخول فى الكلام مع صلاح منصور والى الوقوع فى بعض الاخطاء الادائية كأن تقول : « قافل نفسه فى الحمام » بدلا من « قابل على نفسه الحمام » و «مش حاياخد حمام خالص لا سخن ولا دافى فتضطر الى الاستدراك ولا ساقع . كما أدت بها هذه العصبية الى التمادى فى (الريتم) السريع والاستمرار فى (التون) الواحد على العكس من **صلاح منصور** الذى تمكن من تلوين دوره والتحرك فى الأداء بحرية اكبر ولو انه عمد الى استخدام القفشات فعندما تقول له سناء « أصبح فى الحمام صرصار وبغباء يرد عليها بقوله « أبو كى السقا مات » كما عمد الى التهريج مع الدكتور عندما كان يجرى الكشف عليه والى التنكيت أيضا عندما كانا يتفرجان سويا على مصير الصرصار .

جلال العشرى

همسة للزهرة

للشاعر: يس الفيل

كم بت بدمعى ارويك
وبماء وجودى اسقيك
فيتيه العطر على فيك
واذا بالقلب يحييك
ويمد شراعا يحميك
وهنا تمتد اياديك
فتعانق روحى يا زهرة
كم ايقظنى طيب العطر
كم أسكرنى تيه الثغر
كم مر الدهر ولا أدرى
مسحورا في دنيا السحر
سكران الروح بلا خمر
وسنين مرت من عمرى
كم ضاعت قبلك يازهرة
كم غار البدر لمرآنا
كم راح يداعبنا آنا
والجدول يشدو نشوانا
وهوانا .. ماأحلى هوانا
كم بت اتمنيه زمانا
واليوم يولى يازهرة

الكتب نقد وتعريف

حول كتاب اعجاز القرآن للأستاذ عبد الكريم الخطيب

الدراسات القرآنية والتراث الإنسانى

بقلم : أحمد حسين

كتاب اعجاز القرآن المجلد ذو الجزءين الذين يربو عدد صفحاته على ثمانمائة وخمسين والذى أصدرته دار الفكر العربى للنشر ، هو آخر مؤلفات الأستاذ عبد الكريم الخطيب ، التى ناهزت الأربعة عشر كتابا، كلها تدور حول الدين والعقيدة والاسلامية والمباحث القرآنية ، مؤلفة بذلك موسوعة من أعظم موسوعات الفكر الاسلامى فى عصرنا الحديث ، مما يجعل الانسان يزداد ايمانا بصدق المثل السائر « رب ضارة نافعة » فما أكثر الذين يتساءلون ... أكان باستطاعة الأستاذ عبد الكريم الخطيب لو انه تابع عمله الحكومى الروتينى الذى يشغل وقته ، أن يضيف الى الفكر الانسانى بعامة ، والفكر الاسلامى بخاصة هذا الفيض من المعارف ، والفكر الرائق والأسلوب الجذاب والايمان العميق ؟

الحق ان دنيا التصوف والنهج الاسلامى المستنير قد كسب كسبا كبيرا بانضمام الأستاذ عبد الكريم الى صف العاملين تحت لوائه .

ولنعرض الآن لكتابه الأخير « اعجاز القرآن » .

موضوعات لا تبلى :

قديما عندما كنت شابا صغيرا كنت أتصور أن هناك من الموضوعات ما قتل بحثا وكثيرا ما تعيبت على مؤلفين ألفوا فى موضوعات سبقت لعالجتها ، تصورا منى ان فى ذلك اضاعة للجهد ، وما أكثر ما أحس الآن بالخجل كلما عادت بى الذاكرة الى هذا التفكير الفج الغرير ، ولقد حرصت على أن أسجل هذا الانقلاب فى تفكيرى ليكون عبرة وعظة لكل شاب فى الجيل الحاضر يفكر مثل تفكيرى .

انه لاغنى لكل جيل من الأجيال أن يكتب بأسلوبه، وبطريقته الخاصة فى معالجة الابحاث ، وعلى ضوء التطورات العلمية والمفاهيم المتجددة، وكل الموضوعات والأبحاث التى طرقها القدماء من قبله ، فاذا هى تنبض من جديد بالحياة وتفيض بالفائدة لكل من يطالعها .

لقد كان القرآن وسيبقى هو نور الأمة التراث العربى والاسلامى القديم لمحض كونه مخطوطا فى أكثره ،وما طبع منه طبع على ورق أصفر وبأسلوب يختلف عن أسلوب العصر فى طريقة العرض ، وقد اعتدنا أن نصف هذه الكتب بالصفراء ، وننفر منها أشد النفور .

واليوم لا تكاد وزارة الثقافة والارشاد تعلن عن طبع بعض كتب هذا التراث حتى يتهافت عليها الألوف من المثقفين ، لمجرد كونه قد طبع بطريقة عصرية ، على ورق أبيض وبحروف جميلة وباخراج حديث . واذا كان مجرد التغيير فى كيفية الطبع والاخراج يحدث كل هذا التبدل ، فباستطاعتنا أن نتصور ، اى تأثير لهذا التراث عندما يعالج بأسلوب العصر ومفاهيمه ، وكيف يكون هو الأساس المكين ونقطة الانطلاق لمستقبلنا العظيم .

اعجاز القرآن :

لقد كان القرآن وسيبقى هو نور الامة الاسلامية وامامها ومرشدها وعاصمها ومصدر قوتها وحيويتها ، ومميزها بين الشعوب والامم ·

ولقد اعتبر القرآن كتابا معجزا ، لم يسبقه او يلحقه كتاب في اعجازه وانفراده بالثبات والخلود وعميق الأثر في كل من اتصل به ·

ولقد حاول كثير من ائمة الفكر والبيان على مر القرون أن يناقشوا معجزة القرآن محاولين اكتناه سرها ، ووضع يدهم على مصدر الاعجاز ، ولعل الجاحظ كان أول من حاول هذه المحاولة ثم اعقبه عشرات من الفطاحل من امثال ابى بكر الباقلانى ، وعبد القاهر الجرجانى والقاضى عياض وابى حيان التوحيدى والراغب الاصفهانى والسكاكى والفخر الرازى والسيوطى وكثيرين غيرهم ممن عرض الاستاذ عبد الكريم لآرائهم واقوالهم فى الجزء الأول من كتابه ·

وغنى عن البيان ان كل واحد من هؤلاء قد كتب لمعاصريه ، على ضوء ما يجرى حوله من احداث وتيارات ومفاهيم ، مستعملا السبل المعتادة في عصره للعرض والنقد والتحليل ·

الجاحظ :

فحيث بلغت الفصاحة والبلاغة أوجها فى القرن الثانى من الهجرة ، ووصلت اللغة العربية الى ذروتها من حيث الغنى والاتساع والصقل والتشذيب ،وبلغ تذوق المتفقين للبلاغة والبيان العربى منتهاه فى ظل دولة اسلامية هى أعظم من عرفت الدنيا حتى ذلك الوقت من القوة والاقتدار وسعة السلطان ، والايمان فان ذلك كله هو نفحة من نفحات القرآن ، فقد كان بحسب الجاحظ أن يلخص اعجاز القرآن فى «النظم» الذى انفرد به القرآن فى صياغة أساليبه ، صياغة تنتظم بها المعانى انتظام الروح فى الجسد حتى يؤمن كل مسلم بما يقول ، ويرتقى هذا الرأى عندهم الى مرتبة اليقين فيردده كل من لحقه من الكتاب والبلغاء ·

النظام والشريف الرضى :

وعندما تفشى العقول الاسلامية الفلسفة الاغريقية ، وينهج المفكرون منهج الاغريق فى المنطق وطريقة التدليل والبرهان ، فلا تعود فكرة « النظم القرآنى» كافية لاقناعهم ، يلتمسون وجها آخر يرضى نهمهم العقلى الى تفسير اعجاز القرآن ·

فيقول النظام « ان العرب لم يعجزوا عن معارضة الله ، وانما صرفهم الله عن تلك المعارضة ، فمعجزة القرآن ليست فى بلاغته بقدر ما هى فى صرف العرب عن محاولة تقليده (مع قدرتهم على ذلك) » ·

ويتابع الشريف الرضى النظام على رأيه قائلا « بل صرفهم – أى الله – بأن سلبهم العلوم التى يحتاج اليها فى المعارضة ، فهذا الصرف خارق للعادة . فصار كسائر المعجزات » ·

ولا يرضى جمهرة من كتبوا فى اعجاز القرآن عن هذا الرأى بل يعتبرونه فسادا ومروقا ، فالقرآن معجز بنظمه ، بلفظه وصياغته ، بمعانيه ، مما عرضه باقاضة الاستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه ·

مصطفى صادق الرافعى :

وكان العصر الحديث ، عصر البخار والكهرباء والانتصارات العلمية ، وضياع سلطان المسلمين ، وحيرتهم فى أسباب نكبتهم ، وتطلعت العقول من جديد الى ادلة وبراهين تقضى على بذور الشك التى بدأت تخالج بعض النفوس ، فيجىء مصطفى صادق الرافعى ، ليتحدث عن اعجاز القرآن بروح عصره فلا يقف عند وجه محدد يحصر عنده اعجاز القرآن سواء كان هذا الوجه هو نظم القرآن ، أو معانيه ، أو الصرفة « فالاعجاز القرآنى أمر لا تبلغ فيه الفطرة الانسانية مبلغا ، وليس الى ذلك مأتى ولا جهة ، وانما هو كغيره من الآثار الالهية ، يشاركها فى اعجاز الصنعة وهيئة الوضع ، وينفرد عنها بان له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة افراغا من ذوب هذه المواد كلها · وما نظنه الا الصورة الروحية للانسان – اذ كأن الانسان فى تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله · فالقرآن معجز فى تاريخه دون سائر الكتب ، ومعجز فى أثره الانسانى ، ومعجز كذلك فى حقائقه ، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الانسانية فى شىء فهى باقية ما بقيت » ·

ويعلق الأستاذ عبد الكريم الخطيب على هذا الرأى بقوله :

« فأنت ترى أن الرافعي ، قد جعل وجوه اعجاز القرآن هي :

١ ـ تاريخه ٢ ـ أثره الانساني ٣ ـ حقائقه

ويرفض الاستاذ عبد الكريم الخطيب أن يكون ذلك هو موطن اعجاز القرآن .

« لاننا لو سلمنا بهذا القول الذي يقوله الرافعي، لما كان من وجوه اعجاز القرآن اذ لا يصح ان يكون شاهد المعجزة متراخيا في الزمن عنهـا واقعا في أعقابها فذلك وضع لا يستقيم أبدا ، وشاهد لا ينتفع به في المعجزة الا بعد أن تثبت أولا » .

فريد وجدي :

ويكتب فريد وجدي وهو علامة الجيل السابق في اعجاز القرآن ،وقد كان من أشد الحريصين على التوفيق بين روح الدين والعـلوم الحديثة ، فيقول « حصر المتكلمون في اعجاز القرآن كل عنايتهم في بيـان الاعجاز من جهة بلاغته ، فكتبوا في ذلك فصـولا ضافية ، وبعضهم خصها بالتأليف . واننا وان كنا نعتقد ان القرآن قد بلغ الغاية من هذه الوجهة ، الا اننا نرى انها ليست هي الجهة الوحيدة لاعجازه ، بل ولا هي أكثر جهات اعجازه سلطانا على النفس ، فان للبلاغة على الشعور الانساني تسلطا محددا ، لايتعدى حد الاعجاب بالكلام والاقبال عليه ، ثم يأخذ هـذا الاعجاب والاقبال يضـعف شيئا فشيئا بتكرار سماعه ، حتى تستأنس به النفس ، فلا يعود يحدث فيها ما كان يحدثه في مبدأ توارده عليها .

فالعلة في نظرنا واضحة لا تحتاج لكثير تأمل وهي أن القرآن « روح من أمر الله . نعم ان جهـة اعجاز الكتاب الالهي الأقدس هي تلك الروحانيـة العالية التي قلبت شـكل العالم ، وأكسبت تلك الطائفة القليلة العدد ، خلافة الله في أرضه وارغمت معاطس الجبابرة ... الخ » .

معجزة القرآن :

ولعلك واجد أيها القارىء الكريم من هذا العرض السريع ، الدليل على ما قدمناه من ان أهل كل عصر وجيل ، ينظرون الى الحقائق من وجهات نظر متباينة، ويعالجونها بأساليب وطرائق شتى تنبثق من روح عصرهم .

فالموضوع وهو « اعجاز القرآن » حقيقة ثابتة ، ولكن البحث عن سرها هو الذي يختلف ويتشكل تبعا لروح العصر وأساليب البحث .

فأما ان معجزة القرآن حقيقة ثابتة قد وقعت وتمت بالفعل ولم تعد في حاجة الى دليل جديد أو برهان ، فذلك متحقق في ان القرآن قد تحدى معاصريه من العرب ، وهم من هم تفوقا في البيان والبلاغة وقرض الشـعر ، فتحداهم أن يأتوا بقرآن مثله حتى ولو اتخذوا من أبناء الارض بل من الجن ظهيرا .

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

ولم يدع العرب وسيلة أو سبيلا لمحاربة الرسول واتباعه الا وسلكوها فانكروا وشهروا وسـخروا وخربوا وأجاعوا وفتكوا ، ثم امتشقوا الحسام في خاتمة المطاف وحاربوا .

فما الذي جعلهم يعرضون عن هذا التحدي ، فلا يحاكون القرآن ولا يعارضونه وهم الذين اشتهروا بمعارضة الشعراء لبعضهم ؟

ومضى القرآن في تحدي العرب ، فاذا كان القرآن باكمله شيئا لا يحاكى .. فما عليهم الا ان يجتزئوا بعشر سور فقط من سوره .

« قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات »

ومضى العرب في عجزهم وصمتهم ونكولهم عن قبول التحدي .. فما كان من القرآن الا أن وصـل الى قمة التحدي وذروته .

« فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » .

واذا علمنا أن من بين سور القرآن ما لا يزيد عن بضع عشرة كلمة ومع ذلك فقد ظل العرب على عجزهم، ورضوا ان يهزموا ويغلبوا أو يموتوا ولا يقدمون على محاكاة القرآن ،استطعنا ان ندرك لماذا كان اعجاز القرآن حقيقة ثابتة قد تمت وانتهت ولاتحتاج لمزيد .

اختلاف روح البحث :

هذا الموضوع الثابت هو الذي تختلف حوله الآراء كما قدمنا ، فيعالجه كل مفكر من وجهة نظره وبما يطمئن اليه .

فالرأى الذى ارتاح اليه شخصياوالذى استخلصته بعد مطالعة موسوعة الاستاذ عبد الكريم الخطيب فى اعجاز القرآن .

ان عجز العرب عن محاكاة القرآن ، انما يرجع الى جوهر القضية التى جاء بها القرآن ، فالمسألة لم تكن مسألة الفاظ أو مجرد معان ، وانما مسألة هـذه الرسالة الكبرى التى حملها القرآن وهى الدعوة الى توحيد الله الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

والتحدث عن هذا العلى القدير بما ينزهه عن الشبيه والتجسيد والحلول . فلست أعرف أى كلام يمكن أن يقوله العرب تقضا لهذه الحقيقة يمكن أن تتفتح له القلوب وترهف له الاسماع ويزلزل النفوس ... كيف يمكن لأى كلام يقف فى جانب الظلام والباطل والانحلال أن يقف فى وجه كلام ينطق بالحق، ويشع بالنور وينضح بالهداية ؟ .

فالقضية التى كان يعالجها القرآن هى مصدر قوته وموطن اعجازه وسر عجز العرب عن محاكاته .

وعندى قبل ذلك وبعد ذلك ، ان اعجاز القرآن شىء تدركه بالحدس وتحس آثاره وتلمسها وليس باستطاعتنا الذهاب الى ما وراء ذلك ، ان شأن القرآن هو شأن الله نفسه ، تدركه بالحدس والالهام ، ونرى آثاره ونلمسها ، ولكن عقولنا تحار فيما وراء ذلك ، فيما لو حاولنا أن نكشف عن ماهية الله ... بل ان موضوعات أبسط من موضوع الالوهية ، كموضوع الروح ، نقف أمامها عاجزين عن ادراك كنهها كذلك، وهذا هو شأن القرآن .

اننا نرى آثار اعجازه ، ونستطيع أن نرى نحن الذين يظلنا القرن الرابع عشر الهجرى ، ما لم يره الأولون ، ومع ذلك فان أى محاولة لتحديد موطن الاعجاز لا يمكن الا أن تبوء بالفشل ، خاصة وان القرآن الكريم نفسه لم يفصح عن هذا الوجه ويسفر عنه .

الأستاذ عبد الكريم الخطيب :

ومع تسليم الاستاذ عبد الكريم الخطيب بهذه الحقيقة حيث يقرر « ان اعجاز القرآن ــ فى نظرنا ــ سر محجوب عن الانظار ، لا يقع موقع الحس ولا يستجيب لدواعى الحواس ، ولا يخضع للتحاليل الكيميائية ، فان شديد حبه للقرآن وطول صحبته له وحرصه على هداية الجيل الجديد بهداية القرآن ، وحملهم على التعاطف مع آياته وحبها وتذوقها لخيرهم فى الدنيا والآخرة ، قد جعله يلقى بدلوه فى الدلاء ويبسط القول فى اعجاز القرآن ، ولما كان يعالج أمرا مستعصيا على البحث العقلى ، فهو يقع فى كل ما أخذه على كل من عالج هذا الموضوع من قبله ، فهو يأخذ على الباقلانى انه « اذا عرض لآية من آيات الكتاب سال بيانه متدفقا بالمديح والثناء على كل حرف ، وكل كلمة وكل عبارة فى الآية ، فهى افصح كلام ، وأروع بيان ، وأحلى قول ،وأجمل صورة . دون أن يشير الى موطن الفصاحة ولا الى مكان الروعة والجمال وهكذا يلقى كل آية بما لقى به غيرها من تلك العبارات المحفوظة المرددة (ص ١٨٧ جزء١) .

والاستاذ عبد الكريم هنا يقسو على الباقلانى ، فينتقم الباقلانى لنفسه من عبد الكريم الخطيب عندما نراه ينهج نفس نهجه وأسلوبه بل يغرق فيه اغراقا لا اظن أن أحدا سبقه اليه ... عندما يطلب منا أن نقرأ آلم .. آلر .

ثم يقول هذه الحروف بدئت بها بعض السور فى القرآن الكريم ، فتألف من اجتماع الحرفين أو الثلاثة، او الأربعة ، أو الخمسة نغم موسيقى لم يكن لأىعبقرى من عباقرة الموسيقى أن يقع عليه .

اقرأها هكذا الف ... لام ... ميم .

اقرأها قرآنا يرتل ترتيلا ... لا كلاما يرسل ارسالا .

الا تجد الطرب يتأدى اليك من كل نبرة ، من كل حرف ، ألا تجد هزة والتشاء ينتشر فى كل كيانك ؟ الا يهولك هـذا المطلع وتعروك منه قشعريرة تهز كيانك كله ؟ ان لم تجد فاعد القراءة مرة .. ثم مرة والا فاعرض نفسك على طبيب ... طبيب آذان ، أو طبيب عقول .

وأنا اشاطر الاستاذ عبد الكريم الخطيب كل هذا الذى يقوله ، ومعنا مئات الملايين من المسلمين ،ولكن

هذا القول لا غناء فيه من ناحية التدليل والاثبات وهو لا يخرج عما نعاه على الباقلانى وكل من كتب عن اعجاز القرآن ٠

وأبى الاستاذ عبد الكريم الخطيب الا أن يلخص وجوه الاعجاز فى القرآن فى أربع مسائل :

١ ـ الصدق المطلق الذى نزل به ٠

٢ ـ علو الجهة المنزل منها ٠

٣ ـ حسن الاداء : النظم والفاصلة ٠

٤ ـ روحانية القرآن ٠

وعندنا ان الوجهين الاولين من نوع المصادرة على المطلوب ، فالقول بأن سر الاعجاز هو علو الجهة المنزل منها ، هو عين القضية التى يراد اثباتها من خلال اعجاز القرآن ٠

والقول بأن القرآن معجز لانه من عند الله ، هو قلب للقضية التى تبدأ من التقرير بأن القرآن معجز لينبنى على ذلك انه من عند الله ٠

وكذلك وصف القرآن بالصدق المطلق ،والاستدلال على ذلك بسرد الأحداث التى أعقبت هذا النزول هو ما نعاه على مصطفى صادق الرافعى من انه « لا يصح أن يكون شاهد المعجزة متراخيا فى الزمن عنها ، واقعا فى أعقابها ، فذلك وضع لا يستقيم أبدا ، وشاهد لا تنتفع به المعجزة الا بعد أن تثبت أولا » ٠

ولا يبقى من مواطن الاعجاز فى رأى الاستاذ عبد الكريم الخطيب الا روحانية القرآن وحسن الأداء : النظم والفاصلة ، وهو عود لما اتفق عليه كل من كتب فى اعجاز القرآن ، ولا لوم ولا تثريب على الاستاذ الخطيب ، فهو نفسه قد قرر كما قدمنا « ان ذلك مطلب عزيز ، لا يمكن أن تناله الافهام أو تتصوره العقول » ٠

فضل الأستاذ عبد الكريم الخطيب :

وليس يعنى هذا الذى قدمناه ان العمل الجليل الذى اضطلع به الاستاذ عبد الكريم الخطيب قد جاء نافلة أو غير محقق لكل أغراضه ، بل انى أشهد أمام الله انه علمنى وسيعلم الكثيرين ما لم يكونوا يعلمون ، وما ينبغى أن يعلموه ٠

لقد لخص لنا التراث الاسلامى فى موضوع اعجاز القرآن بلسان عربى مبين ، وبعث لنا ولأبناء الجيل والأجيال القادمة ـ الى أن يتصدى مفكر جديد لعلاج ذات الموضوع ـ آراء جميع من سبق ، وهو اذ يعرض لهذه الآراء ، يعلم ويوضح ويؤصل بقواعد البيان وأسس البلاغة ، ويفعل ذلك كله فى أسلوب قد استضاء بنور القرآن ، وناله شذى من عطره واريجه بحيث أجبرنى ويجبر كل قارىء على مطالعة صفحاته الثمانمائة ، وما كان لأى كاتب أن يبلغ هذا المبلغ الا اذا بلغ أسلوبه الذروة فى حسن الأداء ،والانسياب والسلاسة والشفافية ، والحق اننى لا أعرف بالضبط اذا كان هذا الاسلوب هو أحد حسنات الكتاب أم بعض ما يؤخذ عليه ، فان الانسان يتساءل ، أما كان من الممكن ، لولا هذا الترسل الذى ينساق اليه المؤلف انسياقا بحكم اقتداره على التعبير والتدفق ان يجىء الكتاب أقل حجما وأكثر تركيزا ٠ هذه قضية لا أستطيع أنا ان احكم فيها وأدع للمؤلف نفسه ولبقية القراء الحكم عليها ، أما أنا فاشهد اننى استمتعت بهذا الأسلوب أعظم استمتاع ٠

عتاب :

وقد بقى ان أعتب على ناشر الكتاب الحاج عبد المنعم الخضرى صاحب دار الفكر العربى وعلى الأخ الاستاذ حلمى المنياوى طابع الكتاب ، فانه كان يتحتم على الرجلين وهما من نعرف فى الفضل ـ الا يلقيا عبء التصحيح المطبعى على المؤلف، بل يجب أن يكون لهما رجالهما المتخصصون فى هذه المهنة ، ذلك ان المؤلف مهما كان ضليعا ومتمكنا وغزيرا ، فانه قد يمر على الخطأ المطبعى فيقرؤه صوابا بحكم عقله الباطن ٠

والمصحح المحترف وحده هو الذى يمكن أن يتفادى كثيرا من هذه الاخطاء المطبعية التى وردت فى الكتاب وخاصة ما كان منها فى آيات الكتاب الكريم ٠

« **أحمد حسين** »

كتب جديدة

أحمد الصادق عبد الصمد

● الخيال الحركي في الادب النقدي

تاليف : عبد الفتاح الديدي

الناشر : دار المعرفة ـ القاهرة

يقع الكتاب في ١٦٤ صفحة من القطع الكبير ، ويتناول بالدراسة موضوعا على جانب من الأهمية ، فيعرض لنظرية الخيال اللعوب ، وهذه التسمية عنده مرتبطة ارتباطا وثيقا محكما بالتعبير الادبي تمييزا له عن كل أنواع التعبيرات الاخرى ، ثم يعرض للنقد الادبي عند كتاب الغرب ، ويرى أن الركن الاساسي الوصفي له يرتكن الى أمرين : نظرية في الجمال ونظرية في الخيال ، وهاتان النظريتان يكونان المحور الاصلي الذي تدور حوله الاقوال وتنبعث الاحكام في النقد الادبي ، كما يعرض للمعنى الادبي ، وأن القدماء كانوا يستعملون كلمتي اللفظ والمعنى للتعبير عن جانبي الاداء الفني في العمل الادبي •

وتناول المؤلف في دراسة عميقة النزعة النفسية في الادب ، والاسطورة في الادب العربي واستيحاء الادب القديم، وهاملت بين الحقيقة والخيال ، ومشكلة التعبير ، والشعر بين القديم والجديد ، وصناعة الشعر وأبعاده •

وهناك عبارة وردت في ص ٥٠ كنت أود أن يتنزه عنها قلم الاديب المؤلف ، هي قوله : « وقد دخلت الاسطورة الفارسية في الادب العربي القديم ، ولكن مصيرها لم يكن أفضل من مصير الاسطورة القرآنية، فالقرآن ليس فيه أسطورة وانما فيه قصص واقعي •• والله تعالى يقول : ان هذا لهو القصص الحق » ويقول : نحن نقص عليك نبأهم بالحق •

● الاشتراكية العربية والوحدة

تاليف : محمد نعش

الناشر : الدار القومية

صفحات الكتاب ٦٨ صفحة من القطع المتوسط، في ثلاثة فصول :

الفصل الاول : « الاشتراكية العربية في مجال التطبيق العملي » عرض فيه المؤلف لمراحل التنظيم السياسي في الجمهورية العربية المتحدة ، مشيرا الى الانتفاضات الشعبية قبل الثورة ، التي توجت بثورة عام ١٩٥٢ •

والفصل الثاني : « الوحدة العربية في الميثاق » محاولة لشرح الباب التاسع من الميثاق ، والخاص بالوحدة العربية ، وبيان الروابط المتينة التي تربط اجزاء الوطن العربي •

والفصل الثالث : « الشعوب العربية الحرة تطالب بالوحدة ، تسجيل صفحات مشرقة من موقف الشعوب العربية في سبيل تحقيق وحدة عربية شاملة •

● كيف تكون خطيبا

تاليف : علي رفاعي

الناشر : مكتبة صبيح بالازهر

يقع الكتاب في ٢٧٢ صفحة من القطع المتوسط والمؤلف مفتش عام الوعظ بالازهر ، وله مؤلفات عديدة في مجال الوعظ ، وهذه هي الطبعة الخامسة من هذا الكتاب •

وقد عرض المؤلف لمكانة الخطابة ، وصفات الخطيب واقسام الخطابة ومشاهير الخطباء ، ثم عرض نماذج من خطب الرسول والخلفاء الراشدين ، وخطباء العرب وعباقرة المسلمين في شتى العصور الاسلامية ثم قدم مجموعة من الخطب تناولت شتى الموضوعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والاخلاقية ، في اسلوب عصري تميز بالمرونة والعذوبة معا •

● **الفلاح فى الادب العربى**

تاليف : محمد عبد الغنى حسن

الناشر : دار القلم

هذا الكتيب الذى يقع فى ١٥٦ ص من القطع الصغير هو العدد الثامن والعشرين بعد المائة من سلسلة كتب ثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة الارشاد القومى ٠ وأشار المؤلف فى مقدمته : أن مما لفت نظره وهو يقلب صفحات التاريخ العربى الاسلامى فى امهات كتبه وقديم مصادره ، ان « الفلاح » مهمل الذكر ، كما أن موضوع « الفلاح فى الادب العربى » موضوع بكر لم ينفرد به بحث قائم ولا ظهر فيه كتاب مستقل ٠

وفى خمسة فصول تناول المؤلف لفظة فلاح من القديم الى الحديث ، والفلاح فى الشعر العربى ، والفلاح فى القصة العربية ، والفلاح فى أدب المقالة والفلاح فى مجال الدراسة والبحث الاجتماعى ٠

والحق أن الكاتب الكبير الاستاذ عبد الغنى حسن قد انصف الفلاح فى الادب العربى ، وسد بكتابه الصغير فراغا كبيرا فى المكتبة العربية ٠

● **دورنا الجديد فى الحضارة الانسانية**

تاليف : انور الجندى

الناشر : الدار القومية

هذه دراسة موجزة فى ٣٨ ص من القطع المتوسط ٠

يذكر المؤلف فى تقديمه للكتاب ان هناك حقيقة واضحة لاسبيل الى انكارها مااحوجنا الى أن نذكرها دائما ، هى ان لنا شخصية واضحة الملامح عميقة الجذور ، تكونت منذ عهد بعيد ، وكان قوامها الفكر الواضح والتراث الذى لم يزل حيا يتفاعل وينمو ٠

ويتساءل المؤلف : كيف حافظنا على طابعنا ازاء النظريات والتيارات الجديدة الواردة من الشرق أو الغرب ؟ ويجيب : بان السر هو ان لنا ينابيع فكرية خالصة لها ملامحها وطابعها وجوهرها ، هى التى كانت تعطينا دائما وحدة الفكر ، وهذه الينابيع لم تزل حية تنبض بالحياة ٠

ثم ختم المؤلف بحثه ، بأن عشرات المنصفين تنبأوا بأن دورنا فى القيادة الفكرية للانسانية قادم لا محالة ، ويرى أنه لن يتحقق لنا ذلك الا باسترداد ثقتنا بعظمة ينابيع فكرنا وعظمة تاريخنا وقوة شخصيتنا ٠

● **عروبة مصر من قبائلها**

تاليف : مصطفى كامل شملول الشريف

الناشر : المطبعة العالمية

يقع الكتاب فى ١٧٢ صفحة من القطع الكبير

ويثبت اصالة العروبة فى مصر عرقا ودما الى جانب عروبة الفكر والثقافة بحديثه عن الهجرات العربية الى أرض الكنانة منذ أقدم العصور ، كما اثبت أن وجود هذه القبائل فى مصر يؤكد وحدة الامة العربية فى كافة أقطارها ، كما أثبت أن كثيرا من هذه القبائل التى هبطت أرض الكنانة لها فروع وأقارب فى شبه الجزيرة العربية أوفى بلاد الشام أو فى العراق أو ليبيا أو المغرب العربى أو السودان ٠

وقد هاجم المؤلف فكرة الشعوبية والانفصال التى تفرق بين الاقطار العربية ، والتى تنعت مصر بالفرعونية ولبنان بالفينيقية ٠

ومما يذكر له أنه دعا الى الاعتزاز بالاصول العربية والمحافظة على الانساب ولكن بغير تعصب أو جاهلية ، كما دعا الى ضرورة اجتماع كلمة القبائل من أجل المساهمة فى احياء التراث العربى ، وأمجاد العروبة الخالدة ، وانكر التعصب ، ودعا الى سلام وأمان يسود الجميع مصداقا لقول الرسول عليه صلوات الله « الا ان دماء الجاهلية موضوعة » ٠

« **أحمد عبد الصمد دياب** »

أسبوع الكتاب العربى

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والارشاد القومى

١٩٦٥



بمدينة المنصورة من ٧ الى ١٣ مارس ١٩٦٥

قراءات فى المجلات العربية

يقدمه: محمد العوانى



الفكر المعاصر :

صدرت هذا الشهر مجلة « الفكر المعاصر » عن الدار المصرية للتأليف والترجمة وتولى رياسة تحريرها المفكر الكبير الدكتور زكى نجيب محمود ، وبينت كلمة الدكتور **عبد القادر حاتم** التى تصدرت صفحاتها الاولى أن مبدأ هذه المجلة مستمد من ميثاقنا الوطنى ، وهدفها مستوحى من تقاليدنا الثقافية التى استقرت على مدى التاريخ ، ذلك ان الميثاق يذكر ان من الركائز الاساسية فى بناء مجتمعنا الجديد أن يكون لنا « فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية على اختلاف نزعاتها ، يأخذ منها ويعطيها ، لا يصدها عنه بالتعصب ، ولا يصد نفسه عنها بالعقد » ، ووضح الدكتور حاتم ماكان لنا من دور حضارى هام فى الازمان البعيدة ومثل لذلك بما قامت به الاسكندرية والقاهرة فى هذا الدور ، « فالاسكندرية بجامعتها كانت ملاذا للثقافة اليونانية حين لم تعد أثينا تقوى على حمايتها ، فكان لها فى هذه الحالة شخصية فريدة متميزة ، كذلك كانت القاهرة بعدئذ ـ بفضل جامعتها الازهرية على وجه الخصوص ـ بالنسبة الى الثقافة الاسلامية العربية ، لا سيما عندما نزلت النوازل بهذه الثقافة فى شرق وغرب ، ففى الشرق تقوضت اركانها على ايدى التتار ، وفى الغرب أصابتها المحنة بزوال الاندلس المسلمة » .

كيف جاءت الحضارة

وفى نفس هذه المجلة قدم على ادهم عرضا لكتاب جديد الفه البحاثة الانجليزى « اللورد راجلان » هو كتاب « كيف جاءت الحضارة » وقد بين هذا المقال أن هناك فرقا بين الثقافة والحضارة ، فالثقافة عند « راجلان » هى السلوك المكتسب بالتلقين والتدريب ، أما السلوك الغريزى الفطرى فليس جزءا من الثقافة ، لانه عام بين البشر ، فاذا سجلت هذه الثقافة تسجيلا مكتوبا سمى هذا « حضارة » ذلك لان الحضارة فى راى « راجلان » هى الثقافة المكتوبة ويبنى على هذا أن الحضارة مرهونة بالقراءة والكتابة ، والعلم والادب يصبحان اذن ابرز العناصر الحضارية ومعنى هذا أن التقدم الحضارى هو زيادة الحصيلة من ادب وعلم ، والتخلف الحضارى معناه نقص أو ضياع تلك الحصيلة الادبية والعلمية . و « رجلان » صاحب هذه الآراء عرفه لنا الباحث من خلال حياته واعماله، فقد ولد فى سنة ١٨٨٥ وتعلم فى ايتون وساندهرست والتحق بفرقة الحرس المشاة سنة ١٩٠٥ وضم للجيش المصرى سنة ١٩١٣ وعمل فى السودان وفلسطين والاردن ، ثم اعتزل الخدمة حتى اختير رئيسا لقسم الانثروبولوجيا فى المجمع العلمى البريطانى ، ومن اهم مؤلفاته التى تمتاز باستقلال الرأى واصالة التفكير ودقة البحث « جريمة جوكاستا » و « اصول الدين » و « الموت والميلاد الثانى » و « البطل » .

وليس يسعنا ازاء هذا المجهود الذى قدمته لنا مجلة « الفكر المعاصر » من علاج لكثير من القضايا

الفكرية التى هى أهم مايحتاج اليه القارئ العربى فى هذه الآونة ـ الا ان نتمنى لهذه المجلة الوليدة كل تقدم وازدهار .

الادب العربى المعاصر

فى العدد الممتاز من مجلة المعرفة السورية كلمة يختم بها « سليمان الخشن » وزير الثقافة والارشاد القومى السنة الثالثة من عمر هذه المجلة وقد تناولت هذه الكلمة عرضا سريعا لدور الادب العربى فى الماضى والحاضر كما تحدثت عن التجارب التى مرت بها هذه المجلة ويقول « الخشن » ان الجدل طال فى قطرنا العربى ، وفى غيره من أقطار العروبة حول طبيعة الادب العربى المعاصر وكيف يجب ان يكون .

وما من شك فى ان أفكارا جديدة قد اجتاحت الوطن العربى ، وتغلغلت فى حشاياه ، منذ اليوم الذى بدأت فيه الثقافة الاوروبية تغزو بلاد العرب والعالم ، وما من شك ايضا فى أن كثيرا من هذه الافكار ، يجب ان تكون موضع عناية المهتمين بالادب والفكر ، ومحلا لدراستهم ، كما أن هناك كثيرا من الافكار، يجب أن يتجاوزها الانسان العربى، بشىء من الثقة بالنفس ، وبالماضى العظيم الذى ينحدر منه . .

ويقول اننا كعرب ـ مدعوون فى ايامنا هذه ، للنظر فى كل القيم الوافدة علينا من الغرب ، صحيح اننا فوجئنا بالحضارة الغربية المتفوقه ، وبالادب الغربى المتفوق ، فى حين كنا نرزح تحت أعباء الحياة القاسية التى وضعنا فيها العثمانيون . وصحيح ان الادب الغربى من القوة والسعة بحيث تجاوز المرحلة التى كان قد وصل اليها العرب فى ايام عزهم ، ولكن ليس صحيحا ابدا أن الادب العربى يجب أن يكون صورة للادب الغربى ، أو يمكن ان يكون صورة للادب الغربى .

ان هذا « التشكل الكاذب » للادب العربى المعاصر لن يكون ابعد جذورا فى تربة الوطن العربى من الادب العربى الذى ظهر ايام الاحتلال الرومانى لبلاد العرب .

التنظيم الايديولوجى العربى المعاصر :

ويوسف الحورانى فى نفس هذه المجلة يتحدث عن المثقفين ومجتمعات الثورة ، فيبين أننا حين ننظر الى تاريخ الفكر العربى نرى كثيرا من الغرباء برزوا باسم الفكر واللغة العربيين قبل ان يبرز قادة عسكريون من غير العرب ، ويبنى على هذا القول انحلال المجتمع وسقوط قياداته ، فالذين تسلموا المراكز القيادية فى عالم الثقافة منذ الدولة العباسية لم يكونوا من العرب المخلصين لقوميتهم ومن هنا كان تسلم هؤلاء الغرباء لهذه المراكز جعلهم يساندون ابناء قوميتهم ، ويعطيهم ثقة بانفسهم وطاقة دفعتهم الى ايديولوجية عظيمة لم تكن تواتيهم لولا قادة الذهن الذين ينتمون لهم ، ولذا يطالب الحورانى ان تنمى ايديولوجيتنا ونخطط لها ونعمل على نشرها « من قبل المؤسسات الرسمية والمنظمات الاهلية الواعية ، وبهذا لا نكون قد خططنا لأفراد او لفئة معينة من فئات المجتمع ، بل نكون اعددنا قاعدة ثابتة راسخة لاية فلسفة او نظرية عملية تنشأ من داخل المجتمع الى عالم الغد » ويضيف الحورانى الى ذلك ان هذه التنمية هى اسلم الطرق لابراز شخصية المجتمع فى المجال العالمى ، والوصول به الى مستوى حضارى يسهم فى مصير العالم المقبل

لمحة

فى اللمحات التى يكتبها « عامر بحيرى » فى مجلة الثقافة لمحة كتبها فى العدد الخامس والثمانين وهى تعد قطعة أدبية فنية يقول فيها « عامر » :

ـ قال التلميذ الفتى لاستاذه الشيخ :

ـ مامثقفون .. عدتهم سبعون .. وقيل ثمانون .. كخلية النحل يطنون .. يقولون ان دولتهم قادمة وان موعدهم الجولة القادمة .

ـ قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى :

ـ واين يابنى يقطنون ؟

ـ قال التلميذ الفتى لاستاذه الشيخ :

ـ انهم يقيمون فى القاهرة .. عيونهم ساهرة .. اسماؤهم ظاهرة .. ودنياهم آخرة .

ـ فضحك الاستاذ الشيخ وقال لتلميذه الفتى:

ـ قل لهم : فلينزلوا الى الريف .. من أجل الرغيف .. وليقابلوا بدعواهم الآل .. من أعمام واخوال .. ان كانوا حقا من الابطال .

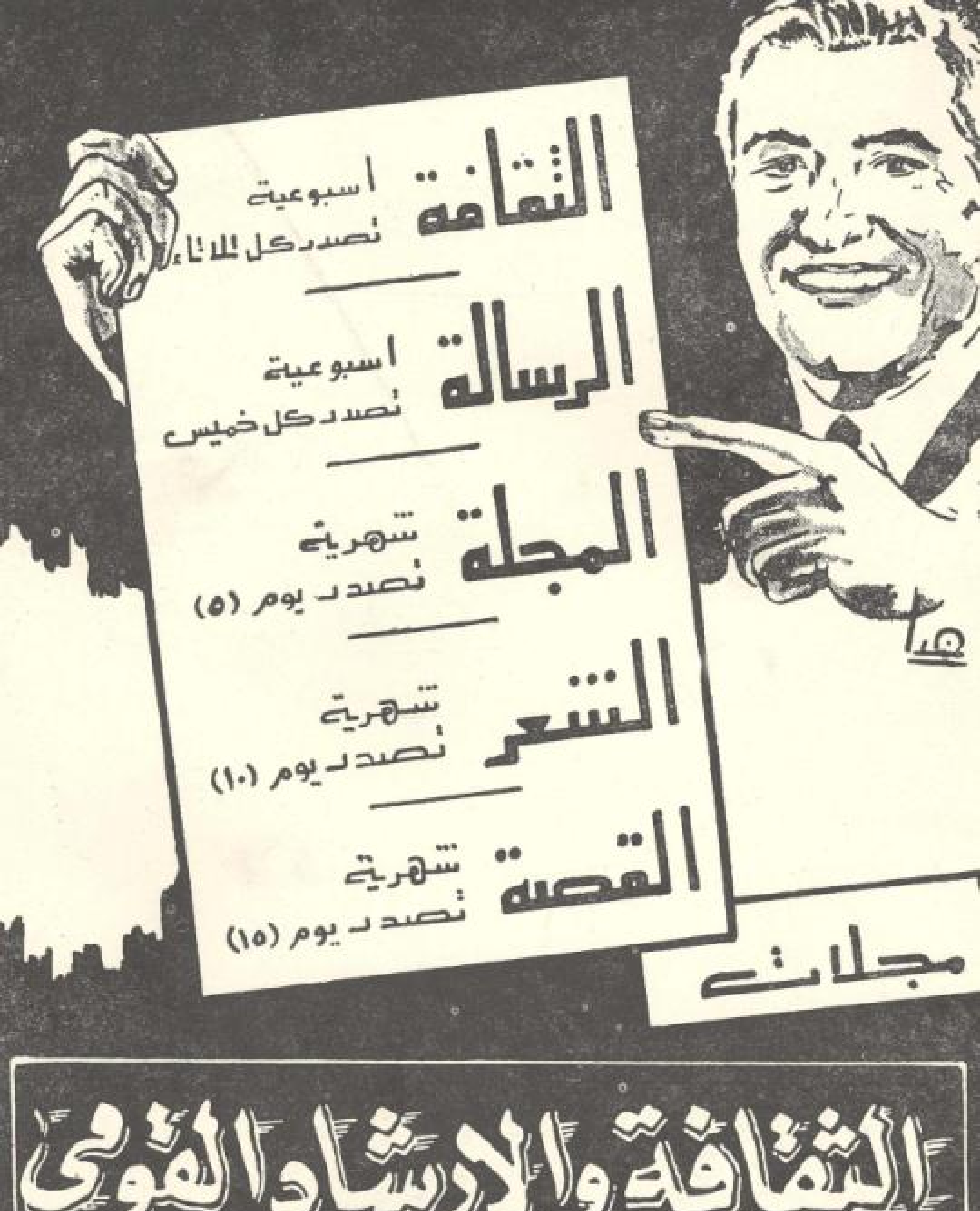
ـ فقال التلميذ استاذه الشيخ :

ـ ولكن من اى شىء يخافون ؟

ـ واجاب الاستاذ الشيخ ، وكانه ينهى الحديث :

ـ اما سمعتك تذكر ان عدتهم بين السبعين والثمانين ؟ فماذا يصنعون امام الملايين .. من العمال والفلاحين .. اصحاب الثورة الحقيقيين؟؟

« محمد العوانى »



العدد ٨٦
الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر